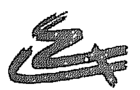


وزارة الثقافة
مهرجان القاهرة الدولى
للمسرح التجريبى

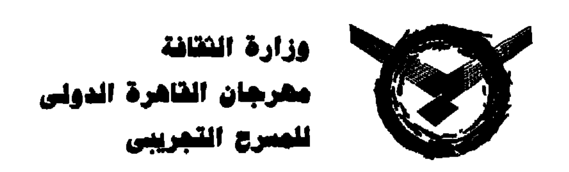


مرجريت دوراس

أيام بأكملها ○○○ بين الأشجار

تقـديم :
د. هدى وصفى

ترجمـة :
د. رفيق الصبان



مرجريت دوراس

أيام بأكملها بين الأشجار

تقـــديم

د. هدى وصفى

ترجمـــة

د. رفيق الصبان

تصميم وتنفيذ : آمال صفوت الألفى

مطابع هيئة الآثار المصرية

كلمة وزير الثقافة

تأتى الدورة الرابعة لمهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى ، وقد تأكد وجوده وتأثيره ، وذلك يؤكد أيضا ما تضمنته قضيتنا من البداية ، اذ ثمة نقص وغياب ، يعانى منه المسرح المصرى ، ولابد من تداركه حتى لا ينحدر .

وقد كان المنهج بأن ننقل تجارب المسرح العالمى من خلال هذا المهرجان الدولى ، لتكون أمام المبدعين المسرحيين المصريين وجمهورهم المتذوق ، وان نترجم المراجع والدراسات التى تتعلق بتلك التيارات المتعددة ، ثم نقيم مسرحا كبناء جديد هو مسرح « الهناجر » ليرتبط بهذه التيارات العالمية تطبيقيا . وبذلك تكتمل دائرة الابداع المؤسس على منهج ، ليقتحمها المبدع المسرحى المصرى ليشحذ طاقاته ويجدد ابداعاته .

فاروق حسنى

كلمة رئيس المهرجان

« من الغبطة أن يصبح الانسان شيخا بين شعوب شابة . لكن ما أقسى الشيخوخة حيث كل شئ هرم » .

هذه لحظة شعرية من قصيدة بعنوان « **ايبيريون** » : « **لهولدرين** » ، تكاد تعبر عن فعالية هذا المهرجان ، الذى يربطنا بتيارات التمرد والرؤى الفنية الجديدة من حولنا ، تلك التى لا ترغب فى ان تتشيئ فتندفع بديناميتها الشابة لتجابه دائما ما قبل وبعد الآن ، وتخترق الفضاء المسرحى وتتمرد عليه ، وباحتكاكها الواعى مع الكون ، تغير وربما توسع الفضاء الانسانى .. كى لا يشيخ كل شئ .

أ. د. فوزى فهمى

تقديم : مرجريت دوراس (١٩١٤ ــ   )

مرجريت دوراس روائية فرنسية وكاتبة مسرحية وسينمائية أخرجت للسينما عدة أفلام من أشهرها « هيروشيما ، حبى » عام ١٩٥٩ و« أغنية هندية » عام ١٩٧٥ .

ولدت مرجريت دوراس ــ واسمها الحقيقى مرجريت دوناديو Donnadieu ــ فى الرابع من ابريل عام ١٩١٤ فى بلدة جو دينه Go Dinh بالهند الصينية حيث قضت معظم سنى طفولتها . وعندما بلغت السابعة عشرة من عمرها انتقلت مرجريت إلى فرنسا للدراسة فى جامعة باريس ، بالسوربون ، حيث حصلت على ليسانس فى الحقوق وفى العلوم السياسية . وكان لها فى تلك الفترة اهتماماً خاصاً بالقضايا اليسارية حتى انها انضمت إلى الحزب الشيوعى الذى ظلت عضواً به على مدى عشر سنوات .

بدأت مرجريت دوراس الكتابة عام ١٩٤٢ وكانت أولى رواياتها الناجحة هى « سد على المحيط الهادئ » وهى ثالث رواية تصدر لها وكان ذلك عام ١٩٥٠ . تلك الرواية التى تحكى قصة أسرة فرنسية فقيرة تعيش فى الهند الصينية لا تعدو انعكاساً لأثر روايات « البيض الفقراء » التى تميز بها كالدويل وشتاينبك فى تلك الفترة .

بعدها توالت نجاحات مرجريت دوراس فى مجال الرواية فصدر لها « تجار جبل طارق » عام ١٩٥٢ و« معتدلة غنائية » عام ١٩٥٨ التى تميزت بطابعها الغنائى الأكثر تعقيداً والأكثر ميلًا لاستخدام الحوار .

والحق أن ميل مرجريت دوراس إلى لغة الحوار هو الذى قادها إلى الكتابة للسينما فكان أول أفلامها من اخراج « آلان رينيه » Alain Renais وهو فيلم « هيروشيما ، حبى » الذى لاقى استقبالًا خاصاً وجاداً من النقاد . ويتناول الفيلم قصة حب نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بين رجل أعمال يابانى وممثلة فرنسية . فى السنوات التالية لهذا الفيلم كتبت دوراس عدداً من السيناريوهات للسينما كان بعضها مأخوذاً عن رواياتها وقصصها القصيرة .

ثم تحولت مرجريت دوراس إلى نوع من الكتابة يتسم بالتجريدية وعمدت إلى استخدام عدد بسيط من الشخصيات والأحداث والعناصر الروائية التقليدية الأخرى ، حتى أن إسمها ارتبط بموجة « الرواية الجديدة » رغم أنها نفت كما نفى النقاد علاقتها بتلك الموجة .

من أهم روايات مرجريت دوراس : « بعد ظهر السيد اندسماس » عام ١٩٦٢ ــ « اختطاف لوك ف . شتاين » عام ١٩٦٤ ــ « قالت : دمر » عام ١٩٦٩ ــ « الحب » عام ١٩٧٢ ــ « صيف ٨٠ » عام ١٩٨٠ ــ « العاشق » عام ١٩٨٦ كما صدر للمؤلفة مجموعة الأعمال المسرحية الكاملة فى جزئين عامى ١٩٦٥ و١٩٦٨ . أما مسرحيتها « أغنية هندية » فقد تم اقتباسها للسينما وقامت مرجريت دوراس باخراجها ، ويتناول الفيلم قصة زوجة سفير فرنسا فى كلكتا بالهند وعلاقاتها المتعددة . ويعد هذا الفيلم من أفضل ما قدمت دوراس للسينما تصويراً ومونتاجاً واخراجاً .

والنص المترجم هنا « ايام بأكملها تحت الأشجار » قدمته مادلين رينو ١٩٧١ . ويقترب مسرح دوراس إلى حد ما من « مسرح العبث » وقد تبدى ذلك فى معالجتها المسرحية لعملين روائيين لهنرى چيمس : « اوراق اسبرن » (١٩٦١) و« الوحش فى الغابة » (١٩٦٢) .

ويلعب الكلام وبالأخص الصمت والمسكوت عنه دوراً مهماً فى مسرح دوراس . ومسرحية « أيام بأكملها تحت الأشجار » هى أشهر مسرحية لها وتتردد فيها نفس الأجواء الخاصة بالسيرة الذاتية كما رسمتها فى « سد على المحيط الهادى » .

ويدور النص حول أم عجوز تأتى من بعيد ـــ ربما من مستعمرة فرنسية قديمة ـــ لترى ابنها المفضل قبل ان تموت ، ذلك الابن الذى كان يقضى « اياماً بأكملها تحت الأشجار » .

والأم مزهوة بهذا الابن دون أية أسباب موضوعية ولكن ما أن تصل ، حتى تقرر العودة ، ذلك ان الابن لم يعد يتطابق مع ذكريات الأم .

ان صعوبة الاختيار ، وصعوبة التعرف على الذات ، صعوبة تفهم حميمية المشاعر الخاصة ، سمحت لدوراس كما قال عنها فوكو بأن تستخدم خطاباً « يتحرك فى الذاكرة ، ذاكرة تحاول أن تطهرها من كل ذكرى » .

د. هدى وصفى

* * *

شخصيات المسرحية

الأم : تجاوزت السبعين
الابن (جاك) : تجاوز الأربعين
مارسيل : فى حدود الأربعين
ديزيه : عامل البار

زبائن البار : رجال ونساء من أعمار مختلفة

الفصل الأول

(بيت عادى لا يميزه شيىء .. مكون من غرفتين متلاصقتين .. الوقت حوالى الظهيرة .. الجو جميل ..
المنزل يبدو وكأنه فارغ .. أثاثه بسيط ومتفرق .. وكأنه أثاث فندق قديم نحن فى الغرفة الأولى .. ولكن يمكننا تمييز الغرفة الثانية فى قاع المسرح)

الأم : (من الكواليس) نعم يا صغيرى .. حدث لى فجأة منذ سنتين كنت أنظر لوجهى فى المرآة .. ذات صباح .. ولم أعرف نفسى .. هكذا كان .

الابن : (من الكواليس) حتى لو كنت بين عشرة آلاف امرأة .. ما كنت لأخطئك فى المطار أبدا .. أرأيت .

الأم : (ضاحكة) عشرة آلاف ماما .. عشرة آلاف مثلى (تقولها بلهجة من يقرأ خبرا رسميا فى جريدة) أتين من أطراف الأرض الأربعة .. وتجمعن على صفاف السين .. أتتصور ذلك ؟

(تدخل الى المسرح .. انها امرأة عجوز .. ترتدى ثيابا سوداء متبرجة .. ترتدى فى ذراعيها كثيرا من الأساور الذهبية ..
يدخل ابنها وراءها .. لا زال وسيما .. يبلغ الخامسة والأربعين وربما أكثر .. الحياة اللاهية والفارغة قد أكلت وجهه .. انه المثال الحى لشاب لم يعمل أبدا .. رجل كرتونى .. ممثل وسيم قد أصابته الشيخوخة)

الابن : (بشىء من العاطفية) .. أمى ..

الأم : نعم .. نعم حدث هذا ذات صباح .. فى بفاليه افتتحت حديثا أمام صندوق المحاسبة .. فجأة .. وجدتنى أمام مرآه .. مرآه كبيرة يا للمنظر (تضحك من قلبها) أن ترى نابولى .. وتحدث بعدها .

الابن : (وقد دخل باللعبة) ونجوت بنفسك بعدها ..

الأم : أبدا .. ناديت ميمى .. وأريتها المنظر .. آه كم ضحكت .. كان يجب أن أرسل لك صورة .. ولكن المرء لا يتذكر كل شيىء .. انت تعرف ولكن لا تحزن .. فصحتى جيدة .. وهذه آخر مرة تحدث لى فيها مفاجأة كهذه .. هذا ما قلته لميمى .. كما فى العرائس الروسية .. وصلت الى آخر عروسة .. أصغر واحدة .. لا يمكن ان أذهب الى أبعد من ذلك .. لقد وصلت الى أصغر شيىء عندى .

الابن : (مشيرا الى نفسه) وهل رأيت كيف أصبح شكل ملاكك الصغير

الأم : (تغير لهجتها بشكل مفاجىء تماما) أنت .. لا زال أمامك متسع من الوقت وسترى وجوها كثيرة تنعكس فى المرآه .. الأمور تبدأ فقط (تجلس) آه .. لم أعد احتمل (بحنان) كان يجب أن أراك ثانية يخيل للمرء أنه لم يعد بحاجة الى شيىء .. وفجأة تراوده هذه الرغبة .. خمس سنوات دون أن تعود .. ما كان يجب أن تفعل ذلك .. هذه مدة طويلة .. أو كان عليك ألا تعود أبدا .

(تظهر فتاة شابة على باب الغرفة الملاصقة .. انها فى الثلاثين .. مظهر متواضع لا يلفت النظر .. يبدو عليها الخجل ..)

الابن : (للفتاة) .. تعالى .. (الفتاة تتقدم ببطء نحو الأم وقد بدا عليها الانفعال) .. انها مارسيل .. لقد كتبت لك عنها .. انها تحيا معى

الأم : (تنظر اليها متأملة اياها بدقة) صباح الخير يا آنسة مارسيل ..

مارسيل : صباح الخير يا سيدتى ..

الأم : (وكأنها تعتذر) كان يجب أن أرى ولدى قبل أن أموت يا آنستى ..

ستسألينى عن السبب .

مارسيل : (والدموع فى عينيها وصوتها) أبدا ..

الأم : (بدهشة) ما بك ؟ ماذا أصابك ؟

مارسيل : أنا آسفة يا سيدتى .. فأنا لم أعرف أبدا والدتى .. لذلك يمكنك أن تتصورى ..

الابن : ابنة ملاجىء .. عقدة لا تشفى منها .. من الأحسن أن لا نعير الأمر التفاتا .. وستمر ..

الأم : (بقسوة ساخرة) الامهات يملأن الطرق يا آنسة .. وكان يجب أن تعتادى على ذلك .. أنت .. قد بلغت هذه السن .

الابن : (لمارسيل) كفى ..

مارسيل : (بخوف) حسنا .. خلاص .. اعذرونى ..

الأم : أما حكاية ..

الابن : (يمسك بذراع أمه ويوقفها) تعالى (يطلعها على الغرفة الأخرى) الغرفة هادئة .. والسرير مريح .. سترين صحة كلامى .. عندما تنامين .

الأم : (بلهجة رسمية .. ستكررها كثيرا فيما بعد) أنا اعتدت على المساحات الواسعة .. على البيوت الكبيرة .. الكبيرة جدا .. والتى تحيط بها الحدائق من كل جانب .. أميال من الحدائق .. حيث أشعر بالخوف عندما أسمع عواء كلب .. دعنى أتكلم يا صغيرى عن أفكارى .. عن أولادى عن مشاريعى .

الابن : لا تفكرى بذلك بعد الآن ..

الأم : (تكرر نمرتها) دعنى أتكلم .. خمس عشرة غرفة .. خمسة عشر ولدا هذا ما كنت أرغب به .. والشيىء المدهش .. أنى لا زلت أرغب بذلك أيضا هل أخبرتك أنى قمت بتوسيع المنزل ؟ اذا تابعت العمل على هذا المنوال فبعد مئة سنة سيصبح البيت اقطاعية ..

الابن : وما الفائدة ؟

الأم : كى أتنزه .. على مزاجى .. بالطول والعرض .. ومن فوق الى تحت .. كى أتنزه أندب حظى .. هذا كل ما أفعله الآن .. أندب حظى .. وهكذا .. أدفىء المنزل جيدا .. أتنزه وأندب حظى وأنا فى تمام الانسجام.

مارسيل : (مذهولة) ان امك تتكلم كشكسبير

الابن : (بغل) وأنت

مارسيل : (بصوت خفيض) أنا ؟

(تقترب الأم من ابنها .. وتنظر اليه مليا)

الأم : اقترب قليلا لأراك (تقربه الى جانبها) يا للكارثة .. شعرات بيضاء .. هلى ابيض شعرك .. انى لم ألحظ ذلك ..

الابن : (مبتسما) أربعة فقط .. وليست كارثة ..

الأم : (لمارسيل) كان أشد الغلمان شقرة يا آنسة .. شعره كان كالذهب

مارسيل : ولا زال يا سيدتى .. أقسم لك

الأم : (تلمس شعر ابنها بقرف) هذا ما تسميه أشقر .. اكذبى على غيرى يا آنسة (تبتعد عن ابنها) انى لا أنتهى من الحياة .. ماذا تريدون حتى هذا المنظر كتب على أن أراه (صارخة) كان أشقر لدرجة تدير الرأس .. وكنت أذرف الدموع لأنه ليس خالدا .. وها هى الحالة التى وصلنا اليها الآن ..

(تعقد ذراعيها وتتثاءب طويلا)

الابن : (محاولا التظاهر بالمرح) اما أمى .. فهى الربيع الدائم .. أنظروا الى الشمس والى السماء .. انها زرقاء .. ونحن خالدون ..

الأم : (مستنكرة) خالدون .. خالدون .. وما الفائدة بخلودنا ..

مارسيل : (لا زالت تدافع) لو بقى أشقر كما تقولين .. فلن يكون الأمر طبيعيا .. لأن ..

الابن : كفى (يسود صمت قصير يقطعه الابن بلهجة ناعمة كمن يحدث أطفالا) ويبدو أننا قد وسعنا مصنعنا الصغير أيضا .. العام الماضى ..

الأم : (بدهشة وبرود) من أخبرك ؟

الابن : ميمى

الأم : وهل تراسلك ميمى الآن .. ؟

الابن : (متماسكا ومحاولا أن يكذب) لا تكتب من نفسها .. لقد سألتها هكذا بالصدفة .. مرة كل ستة شهور .

الأم : ميمى لا تعرف شيئا .. انها تخترع القصص .

الابن : (محاولا أن يصالحها) انت مغطاة بالذهب .. حقا ..

الأم : (تشمر عن ذراعيها فتظهر أساور ذهبية أخرى)
لا يمكنك أن تتصور الى أى درجة (تتأوه) كلا لا يمكن أن تتصور

مارسيل : (تنظر الى الأساور) ولكن هذا لا يحتمل يا سيدتى .. انت تحملين فى ذراعيك ما يزيد عن الخمسمائة جرام .

الأم : انه الذهب يا أنسة .. من ذهب شعره .. انتقلت الى هذا النوع من الذهب .. ألا تفهمين قصدى ..

الابن : انت خائفة من ميمى .

الأم : من كل الناس .. بما فيهم ميمى ..

مارسيل : هذا ما تريدنى أن أفهمه ..

الأم : كلا (بعد لحظة) أرجو أن تعذرونى يا أولادى .. اذا خرفت قليلا فى بيتنا .. اعتادت ميمى أن توقفنى .. هنا

الابن : (ضاحكا) توقفى

الأم : (ضاحكة) بالضبط هكذا ..

مارسيل : (بعد صمت قصير وبلهجة فيها شيىء من الخبث) على فكرة .. لابد أنك جائعة يا سيدتى .. سنتخلى عن عاداتنا .. ونتناول عشاءنا مبكرا ما رأيك يا جاك ؟ أظن أن أمك جائعة ؟

الأم : أنا دوما جائعة .. ليلا .. نهارا .. دائما .. واليوم أكثر من أى يوم

مارسيل : (بخبث) اذن .. فى هذه الحالة سأقوم لأهيىء ..

الأم : فكرة ممتازة يا ابنتى .. ممتازة ..

مارسيل : (تعترف أخيرا) ظننا يا سيدتى أنه بعد عشاء الكازه .. ان شيئا من السلطة ومن الجامبون ..

الابن : (ضاحكا) ظننا .. هذه طريقة للتعبير ..

الأم : (متأوهة) يا للشقاء .. سلطة بالجامبون .. أهذا ما يجب أن آكله ؟ هذا لا يكفيننى .. على أن أتناول كميات ضخمة من الطعام كى أشبع .. ألا تعرفين ذلك ؟

الابن : انها لا تعرف أن حيتان بحار الجنوب العجوزة تتناول اثنى عشر وجبة بالنهار

الأم : (مشمئزة ولكن بحنان ولطف) آه .. لو رأيتم ثلاجتى فى بيتنا هناك .. مليئة حتى آخرها .. وكأننا فى بوفيه محطة ليون ..

مارسيل : (لا زالت تتكلم بخبث) اذن قدر بسيط من المشهيات

الأم : (تفتح شنطتها) كلا .. اذا سمحت .. فليكن عشاء جيدا .. عشاء احتفاليا .. ما دمنا فى احتفال .. أليس كذلك ؟

(تضع نقودا على المائدة .. مارسيل وجاك ينظران الى النقود وقد ألجمتهما المفاجأة .. الأم تمد يدها بشيىء من النقود لمارسيل)

مارسيل : (قافزة) وأنا أيضا مثلك يا سيدتى .. جائعة دائما .. تصورى أن هناك أناسا فاقدى الشهية فى هذه الدنيا .. (الى جاك) ماذا أفعل ؟

الابن : اجلبى ما تجدينه أمامك .. طعام جاهز .. لا تترددى .. كلى شيىء .. كثيرا من كل شيىء ..

الأم : المزعج فى الأمر .. أننا مضطرون للانتظار .. بسرعة يا صغيرتى .. بسرعة ما كان يجب أن تذكرى أمامى سيرة الطعام .. لأننى الآن

مارسيل : (بفرح) سأسرع

(الأم وابنها وقد بقيا وحدهما .. صمت قصير يسيطر على الغرفة)

الأم : (بلهجة اعتذار) يا صغيرى .. لا يمكنك تصور الجوع الذى أحس به ..

فجأة تنبثق هوة هائلة داخلى .. موجة كبيرة تدحرجنى .. موجة أكبر منى .. وأنا أسقط داخلى ..

الابن : (ضاحكا) وأنا أيضا .. أشعر دائما بالجوع

الأم : (بحنان) تماما .. كما كنت فى سن العشرين ..

الابن : نعم .. وعندما آكل .. فهذا معناه أن الحظ معى ..

الأم : (بفخر وحنان) أى ولد أنجبت .. أى ولد ..

الابن : (ضاحكا) الأسبوع الماضى .. استطعنا أن نقيم أودنا .. بأدوية مقوية للدعابة .. أعطانا اياها أحد الأصدقاء .

الأم : (تضحك .. وببطء تمد يدها وتعطيه شيئا من النقود) .. أى ولد خذ يا صغيرى ..

الابن : (مترددا قليلا) كل هذا ..

الأم : نعم .. كل هذا ..

الابن : (يأخذ النقود ويضعها فى جيبه) حسنا ..

الأم : (بلهجة مختلفة) وهذه الفتاة .. أخبرنى عنها ..

الابن : (بعد صمت قصير) كل الحكاية .. انى لا أستطيع العيش وحدى .. هذا هو كل شيىء .. أتفهمين .

الأم : أفهم

الابن : قديما كنت أنال الفتيات اللواتى أرغب بهن .. الآن .. أصبحت الأمور أصعب .

الأم : (مقاطعة) ما أرغب به الآن .. قطعة من القرنبيط .. مطبوخة بالنبيذ الأبيض .. دافئة .. ومملحة جيدا .

الابن : لن يفوتها ذلك .. فهى تعرف أنك تحبين القرنبيط

الأم : ان اعداده سهل وسريع .. قليل من النبيذ الأبيض .. ثم تضعه على نار هادئة .. آه ما ألذه .. آه لالا .. ما ألذه ..

الابن : (مرحا) لا شيىء ألذ منه ..

الأم : (مرحة أيضا) لا شيىء ..

الابن : (وهو يدور حول الموضوع منذ مدة) أريد أن أخبرك شيئا ..

الأم : (تقاطعه فهى تعرف جيدا ماذا سيقول) لا .. لاتخبرنى بشيىء

الابن : (وقد عزم على الكلام ولكن بحذر كمن يحاول أن ينجد انسانا رغم أنه سيعلمه بكارثة) لا تتخيلى ما ليس موجودا .. فلا شيىء قد تغير .. هلى تفهمينى .. ؟

الأم : أنت دائما فى نفس الوضع .. حقا

الابن : دائما ..

الأم : (متباعدة) حسنا .. ماذا بامكاننا أن نفعل يا صغيرى .. أصبحنا نعرف ذلك جيدا .. أنت وأنا .. لا يمكننا عمل شيىء (تصمت قليلا ثم تستطرد) تعرف .. سواء كانت حياتك طيبة أو سيئة .

الأم : فليست هناك طريقتين لهجر الأم .. انها طريقة واحدة فى كافة الأحوال وتذكر أن هاتى اللواتى نجحن نجاحا كبيرا فى حياتهن لا يختلفن عنى كثيرا الآن (صمت) آه .. كم أنا جائعة ..

الابن : سنتناول عشاءا رائعا يا أمى .. انى أسمع خطواتها تقترب ..

(يذهب الابن باتجاه الباب الرئيسى .. تبقى الأم وحدها .. تتناول صحيفة ملقاة على الطاولة .. تنظر اليها دون أن تقرأها .. أحست بالتعب الشديد فجأة .. وكأنها وصلت الى آخر قواها .. آخر مدى فى أحزانها)

الأم : (وحدها) كم أنا جائعة .. انهن يكتفون فى الكازة بتقديم فنجان من الشاى .. وعدة قطع ساندويتش بحجة أن الطيران يتعب المعدة .. ولكنى جائعة لدرجة أنى مستعدة لقضم عظمة .. أشتهى عجين الكبدة كما تعده ميمى .. ان الطيران لا يؤثر على معدتى انما (تفكر) .. ما الذى يمكنه أن يؤثر بى .. ماذا ؟

(الابن يعود مع مارسيل حاملا كيسا صغيرا فى يده)

الابن : قرنبيط .. وقطعة من لحم الخنزير .. وفاصوليا وأنواع مختلفة من الجبن خلال خمس دقائق فقط سيكون العشاء جاهزا ..

مارسيل : بفضلك يا سيدتى .. سنأكل ونسعد .. لقد حدثنى جاك طويلا عن كرمك ..

الأم : متى يا آنسة ؟ .. أنا .. شيىء عجيب .. المهم الآن .. اننى جائعة ..

(مارسيل والابن يسرعان الى المطبخ .. ويعودان لتجهيز الطاولة .. ثم يختفيان ثانية فى لحظة ما .. يبقى الابن وحيدا مع أمه .. عند ذلك تكلمه أمه بلهجة جادة) ..

الأم : بالنسبة للقرنبيط .. انها لا زالت صغيرة جدا .. ألن تعرف

الابن : لا تخافى سأكون معها .

(الأم تتناول الصحيفة ثانية وتكلم نفسا)

الأم : ما الذى يمكن أن يؤثر بى (الحروب) .. حربان .. ثلاثة حروب (تفكر) التعبئة العامة .. أولادى الأربعة (بصوت خفيض دون توقف) واحد اثنان .. واحد اثنان .. واحد اثنان ..

الابن : (سعيدا وقد سمع كل شيىء) توقفى .. ما النتيجة .. ؟

(تصل مارسيل حاملة طبق القرنبيط الذى أعدته)

الأم : (وقد تاهت نظراتها على الطبق) لا شيىء .. ان ذاكرتى تتقلص كما يتقلص كل شيىء بى .. أولادى فى الحرب .. يا للنكتة الكبيرة .. أولا .. أى حرب .. ولماذا ؟ هل وضعت قطرة من النبيذ الأبيض على القرنبيط يا ابنتى ؟

مارسيل : نعم يا سيدتى ..

(يجلسون حول المائدة ويبدأون الأكل بصمت .. يجب أن يكون هذا الصمت .. طويلا .. ثقيلا .. ومزعجا .. مارسيل تقطع حبل الصمت كعادتها .. بخشونة ..)

مارسيل : اذن يا سيدتى .. ها قد رأيت ابنك ..

الأم : (تتنهد وهى لا زالت تمضغ لقمتها) نعم .. هذا ما حدث .. وبسرعة .. دقيقة واحدة .. وخلاص .

مارسيل : (وهى تمضغ) لا يصدق ..

الأم : (وهى لا زالت تأكل باستمتاع) وأجمل ما فى الأمر .. أنه ليس لدى ما أقوله .. أعترف لكم .. أنى منذ شهر وأنا أحلم بهذا القرنبيط .. وأنى أحيانا سترون ذلك فيما بعد أمزج بين القرنبيط وابنى فيصبحان شيئا واحدا .. أرى القرنبيط وآكل ابنى .

الابن : (ضاحكا) وبعدين ..

مارسيل : (تتوقف عن المضغ) سيدتى .. نسيت أن أسألك .. من أى بلد قدمت هكذا .. ؟

الأم : أنت تمزحين يا آنسة أو ماذا ؟

الابن : (ضاحكا) كلا .. لقد أخفيت عنها اسم البلد الذى تعيشين فيه كى أغيظها ..

الأم : أنا قادمة من مستعمرة فرنسية يا آنسة مارسيل .. آخر المستعمرات واسمها لا يعنى بالنسبة اليك شيئا .. كما استطعت أن أفهم (**الابن يصفر لحنا جنائزيا وهو يضحك .. الأم تنظر اليه وقد غضبت منه قليلا**) نعم .. أنا فرنسية فى القلب والفكر أليس هذا هو المهم ؟

الابن : موافق .. ولكن لماذا أتيت الى هنا على وجه التحديد ؟ باستثناء رؤيتى أنا ؟

الأم : ليس لأمر مهم .. ربما لأشترى سريرا .. السرير الأخير كى أموت عليه .. من حقى .. أليس كذلك .. أرجوكى أعطنى قطعة من اللحم يا آنسة ..

مارسيل : (وهى تقدم لها اللحم) طبعا على كل الحق (تكلم نفسها) ان جاك لم يحدثنى أبدا عن هذه المستعمرة .. ولا عن ميمى انى أبدو كالبلهاء ..

الابن : لكن .. اعطها هذه القطعة الكبيرة من اللحم .. والزبدة .. هناك على اليسار

الأم : (متأوهة) كذلك العظم يا بنى .. فأنا أحب قرقشة العظم .. (تتابع حديثها) سأرسل السرير بالمركب .. وسيأخذ ستة شهور على الأقل حتى يصل .. وعندما يصل سأكون قد مت ودفنت .. انه مقلب ستشربه ميمى

الابن : (يفزع وهو يراها تأكل بشراهة) ألا تأكلين أكثر من اللازم

الأم : (مشتكية) دائما الأكل .. وأنا فى قمة البؤس .. ألا تذكر (تصمت) حقا .. بما أننا نتكلم عن البؤس .. نسيت أن أخبرك .. هناك ثمانون عاملا ..

مارسيل : (بقمة الدهشة) ثمانون عاملا (بعد صمت) ماذا يفعلون ؟

الابن : سدودا من الأسمنت .. من أجل تهيئة الجسور فى هذا البلد الذى ينتعش اقتصاديا ..

الأم : صحيح .. صحيح .. اعذرونى .. ولكنى تعودت أن آكل العظم دائما بأصابعى .. نعم ثمانون عاملا .. وهذه هى البداية ..
(تتوقف عن الأكل فجأة .. تفكر)

الابن : لأسباب لا يمكن تفسيرها .. هذا المصنع يكبر عاما بعد عام ... لوحده هكذا ..

الأم : نعم .. تقريبا .. وهذه هى فائدته .. انه ينمو بشكل وحشى .. ان مساعدة (تصمت ثم تقول بصوت منخفض) السفلة .. السفلة لو لم أكن هناك لا رأيتهم .. يا للتعاسة .. هذه هى نتيجة الثراء ..

الابن : (متماسكا بصعوبة) اذا فكرنا جيدا .. وفى طبيعة الأمر .. لوجدنا أن هذه البلاد لم تعد مستعمرة .. على كل .. المسألة تختلف حسب وجهة النظر ..

مارسيل : يا للبشاعة ..

الأم : (بفلسفة الواثق الذى لا يتراجع عن رأيه) أتركيه يا آنسة .. كلام فارغ .. أوهام الصبا .. يظنون عامة أنه عندما ينتهى وضع فان وضعا آخر يحل محله .. هذا خطأ .. لأن الفوضى تعم بين الوضعين .. والفوضى هى خير ما

يمكن أن يكون. فداخل هذه الفوضى .. ننعم أنا وميمى بأحسن حال .. لأننا منسيين .

الابن : (برقة) ولم لا تعودان الى هنا .. ولماذا تنتظران اليوم الذى سيضعانكما فيه بكل أدب على أول سفينة راحلة ..

الأم : (بلهجة زائفة من الاطمئنان) لأنه من المدهش فى سنى التى وصلت اليها .. أن أكون قادرة على نسيان المستقبل .. لقد اعتدنا على ذلك أنا وميمى .. لا أحد يعرف ماذا تخبىء لنا الأيام فى هذه البلاد .. يا لحسن الطالع .. كل شيىء فى هذه الحالة يصبح خطأ .. ان تتسكع على الأرصفة .. أن ننظر الى البواخر وهى ترحل .. باخرة أخرى .. دون أن نكون عليها .. منسيات للمرة الثانية .. نحن الغارقتان .. الصغيرتان .. هل أخبرتك أن ميمى لن تعود أبدا .. انها أصبحت ميمى أخرى انها تتغير على لمح البصر .

الابن : (محاولا الابتعاد عن موضوع ميمى والمستعمرة) أنت تأكلين كثيرا .. ستنفجر معدتك ..

الأم : (بشيىء من الهذيان المفاجىء) انها ميزة سنى .. الميزة الوحيدة التى بقيت لى .. أنى آكل وجبات العمالقة .. ولا أحتفظ بجسمى الا ببقايا صغيرة .. بقايا تساعدنى على التنفس وشيىء بسيط من الحرارة .. هذا عجيب .. أليس كذلك ؟ ان الجسد عاقل .. يعرف تماما ما يلزمه .. لا يريد أن يأكل .. خلاص .. لا يأكل .. جسدى أنا قد وصل الى مرحلة السأم ..

الابن : توقفى ..

الأم : (ضاحكة) شكرا

مارسيل : أنا على العكس .. أى قدر من الطعام ينفعنى .. أليس هذا مدهشا ..

الأم : حسنا .. ها قد انتهت على ما أظن .. (تخلع أساورها) ما أثقلها .. ضعيها فى مكان أمين يا آنسة من فضلك ..

مارسيل : (تأخذ الأساور) أوه لا لا لا ..

الأم : لم أجسر على ترك أساورى هناك .. الى جانب هؤلاء العمال الثمانين بوجوههم الكريهة ألقاتمة .. الذين يحركون الأسمنت حوالين منزلى .. لا .. لم أجسر ..

الابن : رؤية الذهب .. أحيانا .. تكفى ..

الأم : طبعا سيكون الأمر سهلا .. وميمى غائبة .. انى أتساءل أحيانا بينى وبين نفسى .. ما الذى يعيقهم هؤلاء الرجال .. حقا انه أمر غير طبيعى .. والحلوى يا آنسة .. هل ستقدمينها لنا اليوم أو غدا .. ؟

مارسيل : حالا ..

(تبقى الأم وابنها وحدهما .. يخيم الصمت عليهما .. الابن يبدأ بالكلام .. ويخيل الينا أنه قد بدأ يحس منذ الآن .. بثقل وجود والدته ..)

الابن : كان القرنبيط رائعا ..

الأم : من أجل هذا القرنبيط يهون تعب السفر كله (تأخذ الأساور) ضعها على طرف المدفأة ..

الابن : (باسما) دون أن تمصيها

الأم : (وقد دهشت من كلام ابنها) معك حق .. من يدرى

الابن : من يدرى .. ؟

الأم : (بتواطؤ) اذن الأفضل أن ننسى الموضوع ..

الابن : كما تشائين ..

الأم : انهم لا يسمحون لك باخراج شيىء من البلاد .. باستثناء المصوغات .. ألا تعرف ذلك ..

الابن : عندما رأيتك .. تكهنت بالأمر ..

الأم : سبع عشرة قطعة .. كل ركاب الطائرة يعلقون على ذلك ..

(يرتجف الابن قليلا .. ثم يضع الأساور على طرف المدفأة .. تأتى مارسيل حاملة كعكة بالشيكولاتة .. تضعها على المائدة .. الابن

يقطعها بصمت .. ثم يقدم لأمه قطعة ..)

الأم : قطعة صغيرة فقط لأتذوقها .. آه كم كنت جائعة .. كان شيئا رائعا .. (تتكلم وفمها ملآن) لابد أنها الفرحة ... الفرحة بلقاء الابن الغائب ..

مارسيل : أساورك يا سيدتى .. انت بدونها تبدين عارية ..

الأم : (تشير الى المدفأة) مع الأسف

الابن : (برقة) هناك من يأخذن هذه الأساور ويضعها فى صندوق صغير ثم يضعن الصندوق فى خزنة .. ويغلقن الخزنة بمفتاح .. ثم لا يشغلن بالهن بشيىء ..

الأم : وهناك من لا يفعلن ذلك .. ويتركن الأفكار تأتى مع رؤية الذهب هذا الذهب .. هو أنا .. أنا أكثر من قلبى المتعفن .. (تبعد طبقها) هذه الكعكة .. أقرفتنى فجأة .. ابعديها

مارسيل : (تبعد عنها الطبق) ومن تكون ميمى هذه يا سيدتى ؟

الأم : ألا تعرفى عنها شيئا هى أيضا .. ؟ (تضحك هى وابنها) انها ابنتى يا آنسة .. بقية منى .. الوحيدة التى لم تهجرنى لأنها لم تكن جميلة .. ولكنها مليئة بالنوايا الطيبة تجاهى .. المسكينة .. (صمت .. الأم تنظر الى ساعتها وتحسب) مع فارق الساعة .. أربع ساعات الا عشر دقائق ..

الابن : (يقدم خمرا لأمه) تفضلى .. اشربى .. (لا تتحرك) خذى اشربى ..

الأم : (تشرب) افهمونى .. لم يكن أمامى وقت كاف لأعتاد على الثراء .. وأحيا فيه .. لقد أصابتنى الثروة فجأة .. وكنت عجوزا .. ولا أتوقعه .. كل يوم كان يدخل الى منزلى .. وكنا أنا وميمى نقوم بترتيبه واخفائه .. ولكن المستوى كان يعلو .. ويعلو فى الخزانة .. فماذا نفعل ؟ أنا وميمى لم يعد لدينا أية رغبة .. كنا ننظر الى بعضنا فى المساء .. دون أن نفهم ماذا حل بنا ؟ هذا المال لا يمكننا أخذه معنا .. يجب أن يبقى فى المكان الذى أتى منه .. وهكذا أصبح الانفاق مشكلتنا ..وهذا ما يفسر لك عدد الأساور التى أحملها فى ذراعى (تصمت) يا لليالى التى قضيناها أنا وميمى معا

.. لقد أغرقت ميمى أيضا بالجواهر .. صغيرتى المسكينة .. ألم أخبرك أنها مع تقدمها فى السن أصبحت معقولة ..

الأم : بل انها تكاد تبدو جميلة فى بعض الأمسيات ..

مارسيل : (مذعورة) ولكن يا سيدتى .. ألا تخشين أن يذبحوك يوما .. انت وميمى ..

الأم : (غامضة) اننا نتوقع ذلك منذ زمن بعيد يا آنسة .. ولكنى لا أظن أن الأمور ستجبرهم الى الوصول الى هذا الحد ..

مارسيل : (للابن) قل شيئا ..

الابن : (ضاحكا) ما رأيك بشراء سيارة سبق مكشوفة لميمى .. أليست فكرة جيدة .. ؟

الأم : تأخرت قليلا .. لقد اشتريتها بالفعل

الابن : لماذا تقلقين اذن ؟ انت بنفسك تعترفين

الأم : انها العادة .. ولكن من يعرف .. ربما مر عابر طريق من أمام بيتنا .. (تنظر الى ساعتها) الساعة الحادية عشر مساء أحيانا يزداد الخوف ثقلا .. لماذا ؟ لا أحد يدرى .. صوت خطوات فى الحديقة .. الريح .. عندئذ تصعد ميمى الى السطح ومعها بندقية .. وتجول ببصرها فى أنحاء المكان ..

مارسيل : يا سلام ..

الأم : وتطفأ الأنوار على الهضبة .. واسترخى نائمة ..

الابن : (متابعا) كل شيىء هادىء .. الكلاب وقد أطلق سراحها .. وأمام البوابة الكبيرة تقف داورية التى وضعتها الحكومة لحمايتك .. منذ أن خصصت جزءاً من أرباحك لتكبير وتوسيع المصنع بأمر من الدولة ..

الأم : هل نسيت أنه كان من أحلامنا أن نوسع مصنعنا (بعد لحظة) كيف عرفت أن هناك داورية حرس على بابنا ..

الابن : (ضاحكا) احذرى (بعد صمت) ميمى سعيدة بالحال الجديدة ..

وأنت دائما تعرف أن هذا هو المهم .. أليس كذلك ما دام ليس فى الامكان تغيير شيىء ؟

الأم : هذا صحيح .. ولا يمكن فعل شيىء .. ونحن نرى هذه الثروة تتضخم وتبقى عبثا بلا فائدة .. (بلهجة رقيقة) رغم كل شيىء .. أية وليمة رائعة قدمتوها لى يا أولادى .. والآن حدثنى يا بنى عن حياتك .. حاول قليلا ..

الابن : ولكنك لست معنا ..فأنت منذ نصف ساعة قد رحلت الى هناك .. وسط هؤلاء الذئاب الذين يتحينون الفرصة لذبحك ..
(بسذاجة) ماذا تريدين أن تعرفى عن حياتنا ..

الأم : (بسذاجة) ما تريد أن تقوله لى ..

الابن : ما دامت الشمس تشرق على باريس وأنا هنا لأراها .. فكل شيىء على ما يرام ..

الأم : (بأناقة مفتعلة) انه مثلى يا آنسة .. لو تعرفى كم كنت كسولة .. شيىء لا يصدق .. عندما كنت فى الخامسة عشرة .. كانوا يعثرون على نائمة فى حفرة بين الحقول .. كنت أعشق التسكع .. والنوم ..

مارسيل : أنا أصدقك يا سيدتى .. كم أصدقك

الابن : (لمارسيل) وبعدين .. ألن تهدأى أخيرا ..

الأم : (تتابع أحلامها) وأنجبت الأولاد .. بسرعة .. وبسرعة أيضا أصبحت وحيدة ..

الابن : لا يمكنك تربية الأولاد .. وأن تفعلى ما تشائين فى نفس الوقت ..

الأم : وابتدأت باكرا .. أتراجع عما كنت أحب عمله .. حتى وصلت الى الدرجة التى لم أعد أحقق فيها رغباتى على الاطلاق .. هذا ما يدعونه بالحياة المليئة ..

الابن : ربما لا نستطيع أن نقنع أبدا .. فمن الطبيعى اذن أن ننظر وأن ننتظر الأيام .. ومرورها .. انت تعرفين .. اننا نلعب ..

الأم : (التى سمعت ولكنها تتجاهل ما سمعته) كما ترين يا آنسة .. عندما

قررت تربية أولادى .. فعلت ذلك بمبالغة .. ربما لأننى كنت كسولة وأصبحت مجنونة بالحركة .. فمثلا عندما كنت أنا وأبنى عازمين على فعل شيىء .

الابن : (هادئا) كان مستعدا لزحزحة الجبال .. لو تسنت لى الفرصة (وقد نسى فجأة احتياطاته) طبعا .. كان يحدث أحيانا .. فى أيام الشتاء القارصة .. وهو تنتظر المترو الأول .. ان يفكر .. ان هذا الوضع لا يمكن أن يستمر طويلا ..

الأم : (.توقفه ..) اصمت .. لا تدع هذا الأمل يولد فى قلبى مرة أخرى كالدودة .. انى طلبت منك أن تتحدث عن حياتك أنت .. وليس عن أية حياة أخرى ..

الابن : (متمالكا نفسه) من فى العالم .. لم يمر بمثل هذه اللحظات بشكل أو بآخر .. هذا ما أردت قوله ..

الأم : (بحنان) اذن فقد مرت عليك أنت أيضا .. أيام حلوة وأيام مرة أيام مختلفة ..

الابن : نعم .. أنا أيضا ..

مارسيل : انى أصنع الأباجورات .. وفى المساء نجد لنا ركنا فى الشارع الكبير

الابن : لن تفهمى أبدا ..

الأم : أصنع المستحيل .. وأصرف الأموال .. وأركب الطائرات كى أعرف وبعد ذلك لن أفهم .. ؟

الابن : فى الليل .. أعمل أنا ومارسيل فى احدى الحانات اللطيفة يقدمون لنا الطعام وثلاثة مشاريب .. والعمل مريح ..

الأم : ماذا يطعمونكم .. لحم ..

الابن : (وقد فوجىء بالسؤال) نعم لحم ..

الأم : وظهرا .. ماذا تفعلون ..

الابن : ننام

الأم : لذلك انتما شديدا الشحوب .. انتما الاثنان ..

الابن : (بلطف) كان يجب أن تأتى الينا .. كى نرى الشمس من جديد

الأم : كما فهمت .. فأنت أيضا لا تملكين ثقافة كافية يا آنسة ..

مارسيل : (بحماس غير مفهوم) لا أملك أية ثقافة يا سيدتى .. ولكنى لست آسفة .. فغبية كما أنا .. لم أستطع أن أعرف أحدا .. وأنا أرثى للناس الذين كان يمكن أن يعلمونى ..

الابن : انها ضربت الرقم القياسى .. أنا نور العلم اذا قورنت بها ..

الأم : لم تكن غبيا أنت .. كلا .. كنت ذكيا .. ولكن بشكل مختلف عن الآخرين (بعد صمت) انتما تعجبانى رغم كل شيىء .. والآن حدثانى قليلا عن هذه الحانة ..

(يبتعدون عن المائدة)

الابن : (بلا مبالاة ظاهرية) نستقبل الزبائن .. نحثهم على الدخول .. وعلى تناول المشروبات .. ونخلق جوا من المرح والفرفشة ..

الأم : لا أفهم .. هل هذا يعنى أننى سأبقى هنا .. فى المساء لوحدى أنتظركما فقط ..

الابن : لقد فكرنا بالأمر .. يمكنك أن تأتى معنا ..

الأم : بالشكل الذى أنا عليه .. كلا .. أنا متأسفة (تضحك بشدة) ستمر الزبائن .. من جانبى دون نظر .. لاحظوا أن الأمر لا يزعجنى .. فهذا ما لم أصنعه فقط فى الحياة التى عشتها .. لم تتوفر لى الفرصة ولا الوقت لكى أذهب الى أماكن من هذا النوع .

(يخيم الصمت .. الأم تراقبهما خلسة .. مارسيل تبتسم ببراءة . الأم تستلقى على مقعد .. مرتجفة ..)

الأم : أنا بردانة

الابن : انتظرى (يسرع الى الغرفة الأخرى .. بينما تكلم الأم مارسيل همسا)

الأم : هل يمكننى أن أسألك يا آنسة .. ماذا يجب توفره كى نجد عملا كالعمل

الذى يقوم به ابنى ..

مارسيل : ان يكون المرء وسيما يا سيدتى .. أن يتصرف بلباقة .. هذا كل شيىء ..

الأم : (تكلم نفسها حالمة) كان بامكانه أن يفعل كثيرا من الأشياء .. كثيرا .. كيف حصل واستقر على هذا العمل ؟ الابحار فى المياه البعيدة .. سكك الحديد .. نعم كان يعشق سكك الحديد لدرجة الجنون .. كان يرسمها فى كل مكان حتى على جدران حجرته .. كنت أرى على الجدْران صور القاطرات والعربات ..

الابن : (الذى عاد وقد سمع آخر الكلام) وطبعا .. فكرت آنذاك فى كلية الهندسة ..

الأم : أى أم مكانى كانت ستفكر بذلك ..

(الابن يدثر أمه بغطاء صوفى أتى به من الغرفة .. الأم سعيدة .. تتركه يفعل ..)

الأم : ولكن عندما بلغت سن الخامسة عشر .. انتهى الأمر .. ولم تعد تطيق سماع أية كلمة عن هذا الموضوع .

الابن : عندما كنت فى السابعة .. كنت أراك تأتين الى بحذائك الثقيل تريدينى أن أصبح (سيدا) ولكن هذا لم يكن يهمنى على الاطلاق .

مارسيل : ماذا حدث بالضبط

الابن : لعبت لعبة مختلفة عن رسم القاطرات على الجدران

الأم : لا شيىء كان جديرا بالتجربة

الابن : لأن كل شيىء كان متوفرا لهذا الطفل ..

الأم : كان علينا أن ندعه يبكى .. أن نسجنه وأن نعذبه .. لكى يخرج نفسه من هذا العذاب .. من مغارته المظلمة .. من بئره .. من سجنه ..

(الصمت يعود من جديد .. الابن يقترب من أمه بحنان)

الابن : (ضاحكا) لكن .. هذا السرير الذى تحدثت عنه .. ما رأيك فى أن تشتريه اليوم .. لا زال الوقت مبكرا ..

مارسيل : الساعة لا زالت الرابعة والنصف والجو خارجا جميل .. جميل

الأم : بعد نصف ساعة .. سيغلق المصنع .. وسأكون أنا على عتبة بيتى أنظر اليهم .. التعبير المرتسم على وجهى .. أراه فى المرآه الموضوعة على المدخل عندما أعود .. أغلق الستار الحديدى وكل شيىء يعود الى السكون .. والليل يهبط .. وعندئذ أفكر بك يا صغيرى ..

الابن : هيا نشترى السرير ..

الأم : السرير المعد لموتى .. لم لا ..

الابن : وستنامين عليه أيضا .. أليس كذلك ..

الأم : نعم .. لم لا .. سنختاره متينا .. كبيرا .. شديد المتانة .. ومريح .. تعالى معنا يا أنسة .. لن نكون كثرة .. ورأى ثلاثة خير من رأى واحد ..

مارسيل : (سعيدة) لحظة .. أسرح شعرى وأكون جاهزة .. (تخرج مارسيل .. الأم تستلقى فى مقعدها ضاحكة)

الأم : تصور .. مع كل هذه الملايين التى أملكها .. لازلت على سرير يؤلم ظهرى كل مساء .. كنت أتصور أننى سأتجنب شراء جديد ولكن كما ترى ..

الابن : (يضحك كطفل صغير) بوم .. بوم .. والرفاس يوخز .

الأم : كنت أقول لنفسى تحملى أيتها العجوز .. ستشترى السرير الجديد عندما تذهبين لزيارة ابنك فى باريس ..

مارسيل : (من بعيد) أمر غريب .. فى الأسرة الواحدة كل الضحكات تتشابه ولها صوت واحد ..

(الأم تعود الى جديتها فجأة .. تنظر الى الغرفة الثانية ثم تكلم ابنها بصوت هامس وكأنها تسر له بسر خطير وبحرارة خاصة)

الأم : هل فهمت مرادى .. ذهب .. ذهب يمكنك أن تكسبه ..

الابن : (وقد أرعجه أن يعاود الحديث .. يبتعد باتجاه النافذة) ذهب حبيس ..

الأم : حبيس نعم .. ولكن حبيس معك .. وهنا وجه الاختلاف .. عندما تحس

أن المال يأتى ويأتى .. وان الأرباح تتصاعد يوما بعد يوم .. هل تسمعنى ؟ ماء جديد للطاحونة عند ذلك يصبح الأمر مشوقا لدرجة أن مسألة صرف هذه الأموال تصبح مسألة ثانوية .. لا قيمة لها وتبتعد عن مجرى التفكير رويدا رويدا ..

(بعد لحظة) .. باريس .. أمام هذا الشعور .. دعنى أضحك

الابن : لأنك أصبحت ..

الأم : **(مقاطعة)** عندما كنت فقيرة .. كنت هكذا أيضا .. لكنى لم أكن أعرف .. لكنا متشابهون .. خلقنا لجمع المال .. يكفى أن نبدأ أول خطوة .. ونكسب ..

(تظهر مارسيل على الباب .. تستمع الى آخر جملة .. وتنسحب عائدة على أطراف أصابعها دون أن يشعر بها)

الابن : **(هامسا)** كلا ..

الأم : **(تهز كتفيها بلا مبالاة)** لست بحاجة للتفكير .. ولا للعمل .. كل شيىء يسير وحده .. كل ما عليك أن تفعله هو أن تراقب .. هذا كل شيىء .. المراقبة .. أؤكد لك .. بعد عدة شهور ستعتاد على ذلك ولن يمكنك العيش بدونه .. المراقبة .. مراقبة كل شيىء .. كل الوقت .. حياتك ستأخذ معناً جديداً ..

الابن : **(بعناد)** واذا كنت لا أحب المال ..

الأم : **(وكأنها أهينت)** كنت أظن .. كما ترى .. **(بعد لحظة صمت)** ولكنك تعرف كيف تأخذه جيدا ..

الابن : **(يقترب منها وينحنى عليها بحنان)** ان آخذه .. نعم

الأم : **(فى محاولة أخيرة)** ستراقب فقط .. وستشعر أن لا شيىء يمكن أن يتم من دونك **(بصوت خفيض جدا)** يا بنى .. ثمانون رجلا فى باطن كفك .. أنا أعطيك اياهم ..

الابن : **(يخفى وجهه بين يديه)** أنا خجل ..

الأم : (ترفع يديها للسماء .. وقد ملأتها العاطفة) .. أما أنا .. فلست خجلة .. وهذا ما أتيت لأخبرك به.. لم أعد أخجل من شيئ .. وهؤلاء الذين يعملون عندى يملأونى قرفا ..

الابن : (صارخا) لقد تسببت فى افلاس أمى قبل تسع سنوات .. وها هى قد نسيت ..

الأم : (تهز كتفيها) يا أحمق .. الثروة هناك تدعوك للخراب .. للتبذير .. انها أشبه ما تكون بالألعاب النارية .. ويجب أن يكون إلى جانبها انسان جدير بعبثيتها .. لأنه لا يمكن أن تثير اهتمامك من زاوية أخرى ..

الابن : (وقد تأثر بكلامها) وكيف نبددها ..

الأم : ستجد وسيلة لذلك يا بنى ..

الابن : (ضاحكا) بالقمار ..

الأم : سنصل إلى هذه المرحلة عاجلا أم آجلا ..

الابن : (بعد صمت ثقيل) كلا ..

الأم : (ببرود) أتوسل اليك .. يومان فقط لبيع هذه الزبالة .. تعال لتأخذنى معك ..

الابن : أن أبيع ماذا ؟

الأم : تعال لكى تخدعهم وتسرقهم .. وبعد ذلك ننجو بأنفسنا نحن الثلاثة .. انهم يثقون بميمى ..

الابن : انت مجنونة .. لا يمكننا أخذ شيئ من هذا المصنع .. انه يعود لهذه البلاد كما يعود الصخر إلى الأرض الملتصق بها .. وأنت تعرفين ذلك جيدا ..

الأم : يمكننا أن نفجر الصخر .. أن نهدمه.. أن نحيله أحجارا صغيرة قبل أن نموت ..

الابن : كلا .. يا أمى

(تظهر مارسيل .. يصمتون)

مارسيل : أنا جاهزة ..

الابن : (ينهض بتثاقل) تعالى يا أمى .. سألبسك معطفك ..

الأم : (بلا مبالاة) كما تشاء ..

(تنهض .. يأخذ الابن المعطف المعلق بالغرفة الأخرى .. ويساعد أمه على ارتدائه .. تنظر الأم إلى نفسها فى المرآه بينما يقوم ابنها بمساعدتها .. ثم تستدير اليه ضاحكة)

الأم : (ببطء) ما شكلنا نحن الثلاثة ..

مارسيل : (بخشوشة) حقا .. ان شكلنا غير منسجم مع بعضنا ..

الأم : (تعاود الجلوس) غريب .. لم أعد أشعر بالحاجة إلى السرير

(يجلس الابن أيضا .. وكذلك مارسيل)

الابن : تعالى يا أمى (بصوت بائن) هناك تخفيضات هائلة فى المخزن الكبير

الأم : حتى بالأوكازيون لم تعد لى رغبة بهذا السرير .. أنظروا إلى هل شكلى واحدة تريد أن تشترى سريرا .. سريرا جديدا

الابن : (بقحة متعمدة) انه ليس ذنب أحد .. إذا كنت قد بلغت المئة سنة ..

الأم : (تنظر اليه) أحيانا .. أجدك ثانية (بحنان زائد) معك حق .. هذا صعب الوصول إلى هذا السن .. ومع ذلك أحيانا ننجح .. ولكن يبقى فى داخلنا دائما شيئ من الطفولة .. دائما

مارسيل : (برقة)ماذا تريدين أن تفعلى يا سيدتى ..

الأم : لا أعرف .. ابحثى لى أنت ..

الابن : تعالى .. نذهب ونشتريه ارضاء لى ..

الأم : لقد انتظر السرير كل هذه السنين .. ويمكنه أن ينتظر قليلا .. كلا .. لن أذهب (ببطء) ولم أعد أرغب بشراء ..

الابن : (محاولا رغم كل شيئ) لنخرج اذن دون هدف للنزهة فقط .. أليس هذا ممكنا ..

الأم : لم أعد أجيد التنزه .. أن أخرج دون هدف .. هذا يقتلنى .. وعندما يكون

الجو جميلا يقتلنى أكثر ..

الابن : (مركزا على حروفه) لقد وصلت منذ ثلاث ساعات وعشرين دقيقة بالضبط

(صمت ثقيل .. تنهض مارسيل وتتجه برقة شديدة نحو الأم)

مارسيل : ما رأيك .. نلعب مع بعضنا لعبة الورق ..

(الأم لا ترد وهى فى حالة من اليأس والاحباط .. مارسيل تتجه نحو دولاب تفتحه وتخرج ورق اللعب .. وتضعه على منضدة صغيرة أمام الأم .. الأم تنظر إلى الورق دون أن تتكلم) .. (مارسيل توزع الورق وتلعب .. ثم تنتظر دور الأم ..... لكن الأم لا تتحرك ..)

مارسيل : (بعد أن انتظرت قليلا) لقد ابتدأت .. والآن دورك .. ان الشغل كثير فى منزل ابنك يا سيدتى .. كثير من الثياب بحاجة إلى تصليح وسنقوم بذلك معا .. غدا اذا شئت ..

(الابن يتجه إلى النافذة وينظر منها .. الأم تبدأ فى اللعب)

الأم : كما ترين يا آنسة .. يجب أن أجد ما يشغلنى .. أن لا أضطر إلى التفكير والا يتملكنى الرعب ..

مارسيل : أفهم يا سيدتى .. دورك فى اللعب

الأم : شرا يا آنسة ..

مارسيل : واذا وجدنا فرصة متاحة بعد الظهر .. لم لا نخرج سويا ونتسكع .. ما رأيك .. ؟

الأم : (ترد بشكل آلى) لم لا .. (تلعب بالورق ثم تتوقف) أشجار الحديقة .. انه لن يراها أبدا .. يا للخسارة .. فهى رائعة الجمال ..

مارسيل : (همسا) من يدرى ..

(تتابعان اللعب .. بينما يذهب الابن إلى الغرفة الأخرى)

الأم : (بين أسنانها) منذ الآن وحتى يحين موعد العشاء .. يجب أن نملأ الفراغ .. كل هذا الوقت الذى أمامنا .. ماذا سيحل بنا ؟

مارسيل : (مدهشة) لا تقلقى .. سنجد طريقة لملء الفراغ .

(الوقت يمر .. فجأة .. وبحركة من يدها تبعد الأم أوراق اللعب كلها .. التى تسقط على الأرض ...

تنحنى مارسيل بهدوء كى تجمعها .. بينما تقول الأم بلهجة انتصار :

الأم : لقد كسبتك ..

ستار

* * *

الفصل الثانى

(المشهد الأول)

(الأم ومارسيل والابن يسيرون ببطء فى ساحة عامة) يواجهون الجمهور .. الابن ومارسيل يمسكان بذراعى الأم .. الأم حائرة ولكن يبدو عليها الضيق .. مارسيل فى حالة جيدة من التعاطف بينما تبدو بعض العصبية على الابن)

الأم : أما حكاية .. هل كنتم تظنون أنى كنت سأستيقظ لو نمت على سرير جديد .. أبدا .. كنت سأنام بشكل أبدى .. لا تأسفوا على شيئ كنت سأكون ميتة .. لأن هذا أمر يحدث .. أن لا نستطيع النهوض من السرير لأننا سنجد أنفسنا على أتم راحة وبالدفء وبعيدا عن المسئولية .. على كل حال يجب أن أخبرك .. أن ميمى تطوى رأسها على فكرة ثابتة منذ عامين .. أتعرف ماهى ؟ أنا لا أعرف .. ولكنى متأكدة أنها لن تروقنى لأنها لم تجرؤ على اخبارى بها .. ألست من رأيى .. تصور أن ميمى تعطى مواعيدا .. ألم أخبرك بذلك ؟ حقا .. اذن هاقد وصلتك المعلومة .. يا بنى .. أختك ميمى تعطى مواعيدا سرية ستقول لى هذا ليس جديدا .. وانها دائما كانت تخفى عن أمها أشياء وأشياء .. ولكن هذه المرة .. ميمى تدبر مخططا .. لم أنجح فى معرفته بعد **(الصوت يبدو ويختفى من خلال مسيرهم ودورانهم)** اثنان وأربعون سنة .. أصبح عمرها .. وتذهب للسينما .. اكتشفت أنها تحب السينمل .. تصور .. ميمى التى كنا نقول

عنها دائما ميمى المسكينة .. ونرثى لحالها .. ما رأيك اذا أخبرتك أنها أيضا لا تذهب للسنما وحدها ..
بهذه المناسبة .. لقد ذهبت لرؤية المحافظ .. ماذا قال لى المحافظ أريد أن أنقل اليك كلامه دون أن أغير فيه جملة واحدة .. أريدك أن تحكم على مركزى الممتاز الذى وصلت اليه فى هذه البلاد .. ماذا قال لى المحافظ .. يا للعنة .. لقد نسيت .. مع أننى كررته على مسامع ميمى وأنا عائدة من هناك .. آه .. لقد تذكرت .. قال لى (سيدتى ..) .. (**تصمت**) أشار إلى مواهبى .. مواهبى الفذة .. ووضعى الصعب

الابن : لماذا قلت بهذه المناسبة ذهبت لرؤية المحافظ .. لماذا قلت ذلك وأنت فى صدد الحديث عن ميمى ..

مارسيل : بشأن موضوع السينما ..

الأم : (**بخبث**) هكذا .. (**صمت**) ما كان على أن أكرر الكلام أمام ميمى وأن أروى لها ما حدث لى .. ان لها ذاكرة كذاكرة الفيل .. لذلك عندما أروى لها شيئا لا أبذل أى جهد كى أتذكر الموضوع .. وهكذا يضيع منى .. لقد قال لى .. سيدتى (**تصمت مرة أخرى**) يا للعنة .. انى لا أذكر على العموم .. قال لى أن وضعى كان محل دراسة جدية من المجلس الاقتصادى .. وان حالتى جيدة جدا .. لا أظن أن هذه هى الكلمة التى أستعملها .. ولكن لا يهم .. لقد نجحت ميمى فى الحصول على اذن بنقل جسدى .. سبع وسبعون عاما مرت .. وهذا أمر لا يستهان به . ولكن ما بقى من الأيام .. لقد تمت الأمور بكل هدوء .. ووجدت نفسى أستيقظ قبل ست سنوات لأجدنى سجينة .. ان يقول ان حالتى جيدة .. معناها .. انه سيتحملنى ولا مجال للوهم حول ذلك ..
ان السلطات والمحافظ يحترمون ميمى جيدا .. ألم أخبرك بذلك لقد نسيت تماما أنه كان بامكانى شراء ذلك السرير هناك .. لم أر هنا ما يفوق متانة وجمالا وصنعا الأسرة هناك ..

يا للحمق .. كم أصبحت مزعجة .. أن أجعلكم تسيرون كل هذه المسافات فى هذا الشارع الذى لا ينتهى .. أن أزعجكم إلى هذا الحد ياصغارى المساكين .. كلا .. لا يمكننى أن أراقب ميمى .. لا .. لن أصل إلى هذا المستوى .. وبعد ذلك لم أراقبها فى هذه البلاد التى تعانى مس أزماتها الأخلاقية والتى يموت فيها الانسان مللا ..

ان ميمى عاقلة .. ومغامراتها شيئ نسبى .. ..

وهكذا .. مثلا .. مررت أحد الأيام وأنا أتجول فى المدينة أمام المقهى الكبير .. وماذا رأيت ؟ .. ابنتى ميمى جالسة بصحبة رجال من المحافظة .. ستقول لى هذا ليس بالأمر الخطير .. نعم .. أعرف ذلك .. ولكن اذا كانت تحدث رجال المحافظة بأمور لا يسرنى سماعها . انها لم تعد تحبنى ميمى .. هل أخبرتك بذلك ؟ انتهينا .. انه الواجب فقط الذى يجعلها تبقى إلى جانبى .. انها وفية مخلصة لا أملك أن أوجه اليها أى لوم (باشمئزاز) كل حساباتى باتت بين يديها .. هل أخبرتك ؟ ماذا أفعل .. فأنا لا أفهم بالحساب وفى هذه الظروف .. أظن أن ذلك أفضل .. مساء كل سبت تعطينى مصروفى .. ان ميمى لن تترك البلاد هناك .. انها سعيدة ومرتاحة كسمكة فى الماء .. ماذا تريد ؟

طبعا لا أريد تصديق ما يقال بأنها تعمل فى السياسة .. الشيئ الثابت .. ان ميمى أصبحت ضد أمها .. ومع ذلك هذه الابتسامة الحلوة التى ترسم على شفتيها عندما أكلمها .. لو رأيتها .. دائما سريعة فى تلبية كافة رغباتى .. كاملة .. واثقة من نفسها .. دقيقة بصورة تجعل الساعة تغار منها .. انها تدهشنى هذه الابنة .. بعيدة .. وهادئة .. دائما وباستمرار .. أتعرف ماذا يجول بخاطرى .. انها قد تكون سعيدة .. وان شيئا ما قد حصل لها فى حياتى مند فترة .. شيئ قد طال انتظارها له .. منذ زمن بعيد .. لقد أخبرتك أنها فى الليل .. تصعد مع بندقيتها لتراقب ما يجرى حول البيت حسب أوامرى .. هذا غير صحيح .. كنت أكذب عليك ...

لقد كانت تخرج بسيارتها .. سيارة السبق .. تذهب بعيدا وكنت أسمعها ..
إلى أين كانت تذهب .. لا أعرف ..
أنا كنت أحس بالخوف .. نعم .. الخوف .. أرغب أن أخبرك أنت بالذات بالحقيقة كلها .. لأنك أنت الوحيد الذى أحببته من ابنائى الستة الذين أنجبتهم .. الباقين لا يهمونني وأرغب بنسيانهم .. أنت وحدك الذى أحب .. كنت أنتظرها .. عاجزة عن النوم .. وكانت تعود متأخرة .. ولم أكن أستطيع أن أقول لها شيئا .. لأن علاقتنا كانت معلقة على خيط شعرة .. وأية كلمة منى كانت لتجعلها ترحل بلا عودة .. لذلك كنت أصمت .. مهما تأخرت بالعودة .. لا يهم .. لأنها كانت تعود .. لذلك يجب ألا أكون صعبة .. لم أعد صعبة أبدا يا بنى .. لم أعد صعبة أبدا ..

الابن : أخبرينى يا أمى .. عن المحافظ وعلاقته بميمى ..

الأم : (تعترف) سيتزوجان خلال شهرين .. وهكذا أصبحت تعرف كل شيئ ..

الابن : (يتوقف ويأخذ أمه بين ذراعيه) ما أسعدنى ..

مارسيل : وأنا أيضا ..

الابن : لم لم تقولى ذلك منذ البداية ؟

الأم : (لا ترد فورا) لا أدرى لماذا .. ما يحدث للآخرين .. ولا يحدث لك شخصيا .. يصيبنى بالجنون (الابن يفقد بهجته وينظر اليها بحزن) .. ان الأمر كان قائما منذ زمن .. منذ عامين .. وأنا أتحمل .. أتحمل عبء سعادة ابنتى .. وهذا ما يفسر لك بشأن المصنع .. وانه يمكننا الحصول على بعض الامتيازات بفضل علاقات ميمى الخاصة ..
نهايته.. لقد أصبحت وحيدة تماما يا صغيرى .. وأنت عزائى الوحيد
(بصوت منخفض) أتعرف الخواطر التى تنتابنى أحيانا .. ؟
اننى عندما أحس باقتراب أجلى .. سأشترى حزمة من الديناميت أخفيها عن أنظار ميمى .. ثم أفجر المصنع بها .. أنا أيضا أتفجر مع المصنع ..

وأبقى وحدى معه.. سأنتظر اللحظة الملائمة .. بعد العشاء .. عندما تذهب ميمى مع عشيقها السيد المحافظ .. وأنفذ خطتى .. وعندما يبدأ الانفجار سأصرخ باسمك انت .. انت وحدك يا ابنى الوحيد ..

ولكن كيف يمكنني الاستغناء عن ميمى .. انها هى التى تحادثنى وتسلينى .. أعرف أن نصف ما تقوله كاذب .. ولكن مسلى .. عندما أراك أنت أمامى (**تغمض عينيها وكأنها تتذكر**) ما أشد حنانك (**يترك الابن ذراعها ولكنها لا تحس به**) أيام برمتها .. كنت تقضيها بين الأشجار .. ما كان أجمل ذلك .. لم أر فى حياتى حماسا كهذا للعب .. سحرا كهذا ..

يقولون انى لم أكن منصفة مع أخوتك الآخرين .. وأنهم كانوا ـــ كما سمعت ـــ يعتبروننى أما ظالمة ..

يا للمجتمع المنافق والأخلاق الزائفة ...

بأى حق يمنعوننى من تفضيلك على غيرك ..

ستار

* * *

(المشهد الثانى)

بار .. أنوار خافتة .. السهرة لم تبدأ بعد .. والبار بانتظار الزبائن .. موسيقى فالس شرقى .. على البار .. رجلان يشربان المارتينى ويلعبان بالنرد .. البارمان يحرك الخمر فى وعاء خاص .. يدخل جاك وأمه مارسيل .. مارسيل تتجه إلى غرفة صغيرة خلف البار ... عامل البار يخرج من مكانه ويذهب للقاء جاك وأمه والتعرف عليهما ..

الابن : **(مضطربا بعض الشيئ)** أمى .. السيد ديزيه..

(يفسر بعض الأمور همسا .. فى أذن البارمان الذى يهز رأسه متفهما) ..

الأم : اجلسنا فى ركن منعزل يا سيدى .. واحضر لنا زجاجة شمبانيا فاخرة

بارمان : **سعيد بمعرفتك يا سيدتى .. فطالما سمعت عن أم جاك**

الأم : **(بلهجة متعالية)** ولتكن الشمبانيا مبردة جيدا .. اذا سمحت يا سيد ..

بارمان : **حاضر يا سيدتى .. (يظن أنها لم تسمعه فيردد بصوت عالى ما سبق وقاله وكأنه يكلم امرأة حمقاء)** ان جاك كان دائم الحديث عن والدته

الأم : **أنا لست صماء .. فلا داعى لرفع الصوت (صمت)** أنا مصدر فخرة يا سيدى .. لذلك يتحدث عنى ..لقد أصبحت ثرية فى السن التى يموت فيها الناس .. أليس كذلك .. لذلك وصلت إلى هذا المركز الممتاز واللامنتظر فى نظره ..

(تجلس الأم فى ركن منعزل قادها اليه البارمان .. الذى يساعدها أيضا فى خلع معطفها الأسود .. الأم تأخذ المعطف منه وتضعه فى عناية على طرف المقعد نكتشف أنها قد ارتدت أساورها الذهبية كلها .. البارمان يبتعد مع جاك) ..

الابن : **(بلطف)** سأغير ثيابى وأعود .. عشر دقائق فقط ..

(يخرج من الباب الجانبى .. البارمان يعود إلى قرب الأم ثم يذهب

إلى مكانه ويجهز لها الزجاجة التى طلبتها .. ويضعها فى جردل ثلجى .. ثم يعود اليها ..)

البارمان : هل كانت سفرتك مريحة ؟

الأم : مدهشة .. أشكرك أيها السيد ..

البارمان : طويلة ..

الأم : اثنى وثلاثين ساعة (يقترب البارمان منها حاملا جردل الثلج والزجاجة) قل لى يا سيدى .. فأنا لم أر ابنى منذ خمس سنوات .. واذا كان وجودى هنا يسبب بعض الربكة والتساؤل .. ستخبرنى .. أليس كذلك ؟ لأن ابنى لم يطاوعه قلبه أن يتركنى وحدى فى المنزل منذ أول ليلة ..

البارمان : (بلباقة) على العكس يا سيدتى .. ان وجودك هنا معنا يشرفنا

الأم : (تتابع)أو اذا شئت .. قل انك لا تعرف من أنا .. وانى دخلت صدفة .. ولم يمكنك أن تتصرف .. قل ما تشاء .. وما يريحك يا سيدى

البارمان : (دهشا من الحاحها) ولكن يا سيدتى ..

الأم : اذا شئت الحق .. كنت شديدة الفضول لمعرفة هذا المكان ..

البارمان : (بدهشة)ولكن يا سيدتى .. ما من أحد فى هذه الحانة يجرؤ على أن يبدى أى ملاحظة .. انى أعرف زبائنى جيدا ..

الأم : (بجدية) وقضية السن أيها السيد .. ماذا تفعل بها
(البارمان ينفجر ضاحكا .. الأم تشاركه الضحك)

البارمان : أنت تمزحين يا سيدتى ..

الأم : (تنهى ضحكتها) قل لى يا سيدى .. فأنا أود أن أسألك أيضا سؤالا صغيرا .. ليس مهما .. كثير .. ولكن .. أنا لم أقابل ابنى منذ زمن طويل .. ومنذ عدو سنوات بدأت أتساءل اذا كان يحق لى أن أشرك نفسى فى أعماله.. حتى مجرد الحجيئ ورؤيته هنا .. لابد أن هناك الكثيرين ممن هم فى سنه.. قد تخلصوا من هذا الاشكال ..

البارمان : (مضطربا وقد فهم قصدها) ان جاك بدأ عمله عندى .. منذ خمسة عشر يوما فقط .. يا سيدتى ..

الأم : عادة قليل من الأشياء تقال .. بين الأم وابنها .. اعذرنى .. فأنا لم أفهم جيدا كا رواه لى ابنى .. خذ بالك أنا مستعدة لسماع كل شيئ دون حرج ..

البارمان : عمل ابنك عندنا يا سيدتى ليس له اسم .. انه يفعل كل شيئ .. ولاشيئ

الأم : أشكرك ..

البارمان : انه يستقبل الزبائن من النساء .. يرقص معهن .. وقبل كل شيئ .. فهو جاهز هنا .. أتفهمين قصدى ..

الأم : باختصار .. وظيفة لا يستطيع أى أحد القيام لها .. أليس كذلك ؟

البارمان : طبعا .. طبعا .. انت على حق يا سيدتى .. وظيفة تحتاج إلى المرونة واللباقة والمظهر والأناقة .. ونوع خاص من الوسامة .. والذكاء .. نعم .. بالضبط الذكاء ..

(صمت .. يقطعه البارمان وكأنه يتابع حديثا عاديا ...)

هل وصلت منذ زمن طويل إلى باريس .. ؟

الأم : هذا الصباح

البارمان : لابد أذن انك متعبة جدا ..

الأم : كلا .. لست متعبة ..

البارمان : مدهش .. حتما توقفت الطائرة فى عدد من المحطات ..

الأم : فى روما فقط .. حيث اطعمونا مكرونة .. وعشونا نبيذا ايطاليا

البارمان : مدهش ..

الأم : أبدا .. (البارمان ينظر اليهما متفحصا) أرى انك تتأمل جواهرى يا سيد ديزيه .. انت تسمح لى بمناداتك هكذا دون تكليف .. أليس كذلك ؟

(البارمان يهز رأسه موافقا) اننى ثرية .. واذا كان ولدى يعمل لديكم فلأنه يريد ذلك .. لأنه هو أيضا ثرى مثلى .. له حق فى ثروتى .. ولو كنت أستطيع أن أرسل له الاعانة الشهرية التى هى من حقه كان الآن ينعم بالذهب .. انى أقول لك كل هذا كى لا تخطئ فى الحكم عليه ..

البارمان : أعرف .. أعرف يا سيدتى ..

الأم : وعندى مصنع أيضا .. مصنع يعمل فيه ثمانون عاملا ..

البارمان : يا للعظمة .. ثمانون عاملا ..

الأم : وابنتى .. وهى امرأة فذة .. استثنائية .. تساعدنى فى أعمالى .. لا يجب ان افكر الآن بذلك .. فعندما تقوم برحلة يجب أن تنسى كل شيئ .. أليس كذلك يا سيد ديزيه .. بالمناسبة .. املأ لى كأسا من الشمبانيا ..

البارمان : (يخدمها) أنه مبدأى أنا أيضا .. ان تكون عين رب العمل مفتوحة دائما ..

الأم : (بحرارة) المهم .. ان لا نؤمن بذلك (تشرب تتذوق ثم نقول بلهجة مؤدبة) رائعة هذه الشمبانيا..

(البارمان يعود إلى موقفه بالبار .. فى نفس الوقت الذى يظهر فيه جاك ومارسيل .. وقد أرتدوا ثياب السهرة .. الأم تضع نظارتها على عينيها وتتأملها .. مبتسمة .. وفجأة تلاحظ أن ابنها يشعر بالخجل وقد أحس بنظراتها .. فتسرع برفع النظارة .. نسمع فى القاعة لحن فالس شرقى) .. (الأم تبدو سعيدة)

الأم : أتعرف .. السموكنج يليق عليك

الابن : هل مللت من الجلوس وحدك ..

الأم : كلا .. لقد تحدثت مع السيد ديزيه .. هذا ينسينى قليلا جلساتى مع ميمى .. خذ تذوق هذه الشمبانيا ..

الابن : (بحنان شديد يحتضنها بحب) لقد طلبتها خصيصا لك (الموسيقى تعزف الآن موسيقى الدانوب الأزرق .. الأم تضرب بقدميها طربا ..

الابن يحاول مراقصتها) ..

الأم : لا .. لا .. يا بنى

الابن : لقد أقسمت على ذلك .. دورتان فقط

البارمان : (وقد آتى بكأسين اضافيين) جاك .. ان أمك رائعة

الابن : وكأنه لم يسمع تعليق البارمان .. يجذب أمه للرقص) تعالى .. (الأم تراقص ابنها .. دورتان صغيرتان ..البارمان ومارسيل والزبونان ينظرون اليهما مبتسمين ..)

الابن : (هامسا وهو يراقص أمه) أريد أن اخبرك .. بأنى لا أحب أحدا سواكى يا أمى ..

الأم : أعرف .. أعرف ذلك .. ولكن أصمت الآن (يعود بها الى طاولتها .. تبدو عليها السعادة .. توجه كلامها الى البارمان) ألا أجد عندك شيئا من الحلوى يا سيد ديزيه..

البارمان : ما الذى تعنيه بكلمة حلوى يا سيدتى ..

الابن : (يمرح) ولكنك ستموتين من كثرة الأكل .. لقد خرجنا لتونا من وليمة دسمة ..

الأم : المرء يموت دائما من شيئ ما .. لنأمل ذلك على الأقل .. ولكن اذا لم تكن جائعا بعد .. سألم نفسى (تصفر بين شفتيها لحن آلة الدانوب الأزرق .. بينما يذهب الابن الى البار) ..

الأم : (تحدث نفسها) آه .. هذه الفالسات انها لا تقدم أبدا .. وتظل جميلة ..

مارسيل : آه يا سيدتى .. لو تعرفى مقدار سعادتنا بوجودك هنا معنا ..

البارمان : كم تغيرت الأشياء بقدومك ..

الأم : (بسذاجة) سيد ديزيه.. قل لهم ان شيئا بسيطا من الحلوى لن يضيرنى ..

البارمان : ما رأيك بقطعة (مالبا) ..

الأم : (بفرح) خوخ بالمالبا .. فى تلك البلاد .. لا يعرفون هذه الحلوى ..

الابن : (مرحا) هيا يا ديزيه.. آتنا بأطباق ثلاثة ..

(يذهب الابن الى ركن آخر .. من البار .. حيث يتجمع بعض الزبائن بينما تبقى الأم وحدها مع مارسيل)

الأم : هيا يا ابنتى .. كلمينى عن نفسك

مارسيل : (بشيئ من السذاجة) .. أنا ..

الأم : (تنظر اليهما بفضول وعمق) كم أنت لطيفة يا صغيرتى ..

مارسيل : (بخجل) نعم .. أظن .. حقا انى لطيفة .. ولكن ..

الأم : ولكن ماذا ؟

مارسيل : اننى بلهاء .. انت لم تلاحظى ذلك .. ولكنى بلهاء حقا ..
ولم أقابل حتى الآن أى أنسان رأى فى غير ذلك ..

الأم : ومن أين أتيت ؟

مارسيل : لا أعرف .. ؟

الأم : (بنفاذ صبر) حاولى أن تعرفى وتخبرينى ..

مارسيل : (بلهجة فيها شيئ من الخطابة) كان ذلك شتاء .. وجدونى نصف متجمدة على رصيف فى ساحة الجمهورية .. وكان عمرى ستة أشهر ..
(تتوقف موسيقى الفالس .. وتحل محلها موسيقى جاز حزينة ستستمر خلال حديث مارسيل كله) ..

الأم : وبعد ذلك ..

مارسيل : ادخلونى ملجأ الأيتام حيث بقيت حتى الثالثة عشرة ..
كنت أود أن أخبرك بحكاية مختلفة .. ولكنى لا أعرف الاهذه ..
وفى الثالثة عشرة وضعونى فى ورشة كى أتعلم الخياطة .. وبقيت سنة .
وكان ذلك مملا .. لأنى لم أتعلم شيئا .. وكنت دائما أنفذ التعليمات بالعكس .. لذلك بعد سنة ..
(يعود الابن حاملا .. أطباق المالبا .. يضعها على المائدة الأم تنظر اليهما بتفحص ..)

الابن : (لمارسيل) من الذى طلب منك الحديث
الأم : (عيناها لازالت على الأطباق) أنا .. وبما انها ابتدأت ..
فعليها أن تنتهى .. هيا أكملى ..
مارسيل : ربما انهم وجدوا أن لا فائدة فى الخياطة .. أرسلونى الى الأرياف عند الفلاحين .. كنت أحرس الأبقار .. وهناك أيضا لم أتعلم شيئا .. ولكنى كنت مستريحة .. الهواء نظيف ..
والأكل كان جيدا .. وصاحبة المزرعة لا تضربنى .. ولكن ذات يوم .. ولا أدرى ما الذى دفعنى الى هذا العمل .. سرقت منها خمس فرنكات ..
كان ذلك ليلة عيد الميلاد .. ولازلت أذكر الأمر وكأنه حدث البارحة ..
الابن : (مكملا ومقلدا اياها) عندئذ كتبت صاحبة المزرعة رسالة طويلة الى الملجأ أخبرتهم فيها أن من يسرق بيضة قادر على أن يسرق البقرة .. الخ .
الأم : (وعيناها لا تفارقان طبق الحلوى) قصتك مملة .. وطويلة فوق ذلك
مارسيل : (بسرعة) أما بالنسبة لى .. فكان الموت خير لى من العودة الى الملجأ ..
لاحظى أن الحياة بالملجأ لم تكن أسوأ من غيرها ولكن القضية هى أننا كنا أشبه بالسجناء وهذا مالا أحتمله ..
الابن : رحمة بنا .. اسرعى .. أوصلى للمغارة ..
الأم : اختصرى يا ابنتى .. اختصرى ..
مارسيل : (بسرعة متزايدة ولكن بكلام واضح) عندئذ .. اغتنمت فرصة فى احدى الليالى وهربت الى الطريق .. ووصلت الى مغارة ...
كان ذلك على طريق كليومون .. أذكره كما لو كان البارحة ..
الأم : أنا يا أولادى سآكل طبق المالبا .. لقد ذابت القشطة عليه ..
وهذه كارثة (تأكل بشهية كبيرة) وما حكاية هذه المغارة ..
مارسيل : ليس لها حكاية .. ماذا تريدين أن أقول .. مغارة كغيرها من المغارات ..
فيها نبع ماء
الأم : (وهى تأكل) وما بعد نبع الماء ..

الابن : (يبدأ يأكل هو أيضا) لا شيئ .. انتهت الحكاية

الأم : غير ممكن .. لا يمكن أن تنتهى هكذا .. هذا لا يحتمل ..

مارسيل : (بسرعة) انتظرت يومين وليلتين فى المغارة .. يأكلنى الخوف أن يعثر البوليس على .. لا شيئ آكله .. الماء والحمد لله كان متوفرا بفضل النبع .. وهكذا .. بعد يومين ظهر سائق سيارة النقل .. خلال .. هذه المرة انتهت القصة ..

(تبدأ بالأكل هى أيضا) ..

الابن : أوه لا لا ..

الأم : (وقد اهتمت فجأة) وسائق سيارة النقل .. كيف كان شكله

مارسيل : حياتى ابتدأت ..

الأم : وماذا تقصدين بذلك ..

مارسيل : أقصد (تفكر قليلا) لا شيئ خاص ..

الأم : تعبيراتك غامضة يا آنسة .. آه .. انها لذيذة هذه المالبا (إلى مارسيل) يا آنسة مارسيل .. أظنك تسمحين لى بأن أناديك هكذا .. أليس كذلك .. مهما كان نوع تصرفك فأنا واثقة اننى كنت سأتصرف مثلك .. فكل ما يدعوك الجوع إلى عمله .. أنا أفهمه ..

الابن : (ضاحكا) حقا .. اكملى طبق المالبا .. أكملى ..

(يقترب زبون من مارسيل ويدعوها للرقص .. يذهبان إلى الغرفة الملاصقة ..)

الأم : (وهى تراهما يبتعدان) انها لطيفة حقا .. أنا لم أفهم هذا الصياح ..

الابن : ليس مهما ..

الأم : (بحزن) على العكس .. هذا مهم .. فأنا قد اعتدت على ذلك صدقنى ..

الابن : لقد طردتها قبل مجيئك .. ولكنها عادت .. كنت أريد أن أختار واحدة أجمل منها (يضحك) جميلة ومرحة ورقيقة .. ولكنى لم أجد ..

الأم : آخر واحدة رأيتها معك كانت لا بأس بها (تنظر إلى طبق مارسيل) انها لم تكمل أكلها .. المسكينة ..

الابن : (باحتقار) ولا يهمك ..

الأم : (باتهام) يا بنى .. ألا يجوز أنك أنت أيضا لم تعد طيبا ..

الابن : (محاولا اثارة قرفها منه) نعم .. لست طيبا .. تذكرى عندما كانت الظروف تجبرنى على أن أكون طيبا .. كنت أحس بالندم فورا ..

الأم : (تكلم نفسها) عندما يجوع الناس .. ويأكلون .. أكون سعيدة برؤيتهم يفعلون ذلك .. وطبعا هذا لا يعنى بالضرورة أن نكون طيبين عاطفيين أو حمقى ..

كلا .. المسألة كلها لا تعدو أن تكون أننا قد أنجبنا أطفالا

الابن : أنا آسف حقا لأن طبعى هكذا .. ولكنى لا أتمنى الخير لأحد الا لك أنت ..

الأم : (وقد أحست بوحدتها تجاه ابنها) أى خير تتمناه لى يا بنى ؟

الابن : (وقد أحس بالخطر) أريدك أن تكونى خالدة .. انت وحدك خالدة .. دون أن يكون لدى ما أقوله لك ..

الأم : وآسفاه يا بنى .. صب لى كأساً من الشمبانيا (تصب لنفسها) أنت لا تفهم جيدا مغزى الأمور .. المرء يكون شريرا لمجرد أنه يرغب بذلك .. حتى أنت .. انها مسألة صعبة وطويلة .... ولا تأتى بسهولة .. صدقنى .. أنا استطعت أن أكونها ..

(يشربان كأسيهما) ..

الابن : (محاولا العمل) أعرف ..

الأم : لقد أصبحت شريرة وظالمة (فجأة يستبد بها اليأس .. تكمل كلامها باكية) .. أترى .. هؤلاء العمال فى مصنعى ... أى قرف ينتابنى عندما أفكر بهم .. انى أكرههم .. أتفهم لماذا ؟ لأنهم يعملون .. يعملون كالمساجين .. بينما أنت يا صغيرى ..

الابن : (بابتسامة متكلفة) هذا سخف .. أنت تعرفين أننى ابنك .. أقول ذلك مازحا وأنت تعرفين ..

الأم : (تتمالك نفسها وتتابع بلهجة يائسة) نعم أعرف .. ولكنى عاجزة عن أن أمنع نفسى ..كنت أريد أن تكون مالكا كل شيئ العمل أيضا .. ولذة العمل .. بنفس القوة التى تملك فيها الكسل .. اننى لا أستطيعه وأدرك ذلك .. فأنا لا أعرف ما أريد .. حقا .. ولكنى أريد .. وأعرف أننى بداخلى مليئة بالنوايا السيئة .. ولا أرغب بمقاومتها .. لم يعد بوسعى عمل شيئ .. (تفتح كفيها وتمدها لابنها) لم يعد لى قلب .. لم يعد لى قلب .. لم تعد لى أخلاق .. لم يعد هناك شعر فى رأسى .. لم أعد أستطيع النوم (تهدأ قليلًا) حتى اسمى .. لم يعد أحد يذكره ..

الأم : لم يعد لى غيرك (صمت) صب لى قليلا من الشمبانيا .. أيضا .. هيا ..

الابن : انتبهى يا أمى الشمبانيا غادرة ..

الأم : (وكأنها لم تسمع) لماذا لا ترغب بمصلحة نفسك يا بنى .. كل الناس يفعلون ذلك .. هذا ظلم ..

الابن : (بحنان) أنت لم تفهمينى يا أماه اذن .. انى أرغب بمصلحة نفسى أن أخطو كل يوم خطوة كالبارحة بصمت .. لا تتصورى مقدار السعادة بذلك .. احساسى أحيانا بأنى أخدع الناس جميعا .. وانى أشبه بالقرصان .. باللص .. الوحيد الذى لا يفعل شيئا .. ضمن الهياج والحركة العامة ..

الأم : حسنا يا بنى .. حسنا ..

(صمت .. الابن يصب لأمه كأسا آخر .. يصل بعض الزبائن إلى الحانة .. لغط الحديث .. امرأة تجلس على البار .. الابن ينظر اليها خلسة ..)

الأم : (وقد أثرت بها الخمر قليلا .. يبدو أنها نسيت المكان الذى هى فيه وأصبحت أكثر سنا .. وأكثر جنونا) ..

أريد أن أخبرك بشيئ لا تعرفه .. ان ابنك اياه وحدك .. لم يعد من شيئ يبكينى .. لقد أقسمت بينى وبين نفسى ألا أبكى على شيئ هل سمعتنى جيدا .. على أى شيئ ..

الابن : (برقة شديدة) هذا أفضل .. لكن .. هذا أفضل .. انى أذكر فى يوم من أيام الصيف بعد الظهر .. وكنا فى أجازة .. وكنا ننام فى كل أركان البيت .. أذكر ظلال الستائر الخضراء ..

الأم : (حنونة رقيقة) نعم .. فى بعض أماسى الصيف فى تلك الفيلا التى أجرناها .. نعم ستائر خضراء ..

الابن : عندما كنت أنهض من نومى .. كنت أراك أحيانا تبكين .. جالسة على الأرض .. فى الممر .. تبكين بصمت لوحدك كى لا توقظينا ..
(صمت) لماذا كنت تبكين ؟

الأم : (تتذكر) من يدرى .. لم أعد أعرف .. ربما كان السبب أبوك أو النقود .. أو خوفى أن تصبحوا فيما بعد أشرارا .. أو عديمى الضمير .. فيما بعد .. هل تتصور ..
(البارمان من بعيد يحاول أن يستدعى الابن دون أن يلحظه أحد)

الأم : (التى لم تلاحظ) كم كنت غبية ومسكينة ..

الابن : أماه .. اعذرينى .. يجب أن أدعو تلك السيدة للرقص

الأم : (صماء) لانك كنت نائما .. ولم تكن ترغب بالذهاب للمدرسة .. وأنا كنت أريد أن أتركك نائما .. وكنت أبكى ..

الابن : (وقد نسى أمر الزبونة) لا يا أمى .. لا (يحس الخوف)

الأم : بلى .. بلى .. كل أطفال الدنيا كانوا سينامون مثلك لو لم يوقظهم أحد .. والعالم سينهار أشلاء .. لا .. لم أرد ايقاظك

الابن : بلى .. كنت توقظينى .. انى أذكر ذلك .. كنت تسحبين الستائر تطلبين منى أن أنهض وأرى جمال الشمس .. وأنك أعددت لى فنجانا من الشوكولاته..

الأم : كلا .. هذا كذب .. نعم كنت أوقظ الآخرين .. أما أنت .. فلا اننى لم أكن أملك الشجاعة لايقاظك كل صباح (بشيئ من الألم) كنت أحس بمتعة خاصة تجاه نعاسك ..

الابن : (بعنف) توقفى .. كنت توقظينى .. نعم .. كنت توقظينى ..

الأم : كلا .. تسألنى عن سبب بكائى .. وهاأنذا أخبرك به .. ما كان عليك أن توجه لى أسئلة .. كلا (صمت) هذا يحدث عندما ننجب خمسة أطفال .. أن يتجه انتباهنا إلى واحد منهم .. نرغب بالاحتفاظ به للأيام السوداء المقبلة .. هذه فاجعة (تصمت) اذهب وارقص يا بنى ..

الابن : أتسمعينى .. لا تكررى هذه القصة .. انه أنا الذى كان يتسلق الأشجار بمجرد أن يستيقظ .. كنت تعتقدين أنى فى المدرسة بينما كنت أنظر اليك تسيرين فى الحديقة جيئة وذهابا .. وأنا مختف فى أعالى الشجر .. لم تكونى تريننى .. وأنا كنت أصعد بهدوء ..

الأم : كنت أراك يا بنى ولكنى كنت أتظاهر .. كما لو كنت بعيدا فى المدرسة .. تهيئ نفسك لحياة مريحة .. ولكنى كنت أراك وأراك جيدا ..

الابن : خذى .. اشربى قليلا من الشمبانيا ..
(يصب لها كأسا .. لا تشربه ..)

الأم : اذن .. كنت تظن أن هذه هى الحياة ..

الابن : (مرتاعا) اشربى .. بحق السماء .. اشربى ..

الأم : (تشرب) أنا لست آسفة على شيئ .. من جهة فائدة الأشياء أنظر ميمى مثلا .. بعد شهرين ستكون هى والسيد المحافظ يا للأمر المضحك .. اذهب وارقص يا بنى ..

الابن : (غاضبا) لماذا تقولين ذلك .. أنا سعيد لميمى .. بل أنا فخور بميمى ..

الأم : صدقنى يا بنى .. كل شيئ لا فائدة منه .. كل شيئ .. وعليك أن تمضى حياتك كلها مطرقا أصابعك ..

الابن : (سعيدا) اذن .. هكذا ترين أنى فزت بقصب السبق .

الأم : (تكشر وجهها) ولكن فى الوقت نفسه (تبحث مفكرة) ان تمضى أيامك كلها بطرطقة الأصابع .. شيئ ممل .. وأنا أرى أن كل هذه القصص تتشابه مع بعضها .. ان تعمل أولا تعمل .. اننا نبدأ بشيئ .. ونعتاد عليه .. ونترك الماء يجرى بنا .. المهم فى كل هذا .. أن لا نندم .. نعم .. أن لا نندم ..

الابن : انظرى إلى .. هل تبدو على التعاسة .. نعم أم لا

الأم : (تنظر اليه) كلا .. ان مظهرك (تفكر) مظهرك يدل .. لا أعرف .. اذهب وارقص الآن ..

الابن : (ينهض) حاضر (بعد صمت) كله من خطأى أنا .. هل تسمعين .. ولكن هذا لا يهمنى .. لو تعرفين أن الآخرين يضيعون أوقاتهم مثلى تماما .. وأنت تعرفين ذلك جيدا .... أما ميمى .. فأنا من رأيى أن تتركيها تفعل ما يبدو لها .. اذا رغبت أن تضيع وقتها بهذه الطريقة ..

الأم : أعرف جيدا .. أنهم جميعا يضيعون الوقت .. ولكن الآخرين يخرجون من ذلك بنوع من الفخر .. من الرضا بالنفس .. من الكبرياء .. وكل هذه عواطف تبعث البهجة فى النفس .. مع أن الكل يقول العكس .. ولكنهم مخطئون .. بهجة قذرة .. متوحشة مؤلمة أحيانا .. ولكنها بهجة قوية .. شديدة القوة ... ميمى خير مثال على ذلك .. انها تخدع نفسها .. وتواضعها الشهير هذه الأيام بدأ يأخذ وجها آخر .. انها أصبحت مأخوذة فجأة .. مثل بقية الناس بهذا النوع من العواطف .. أما أنت .. فشيئ آخر لن تعرف هذه العواطف أبدا (صمت) اذهب وارقص يا بنى هيا اذهب ..
(الابن يبتعد بينما الأم تتمتم بينها وبين نفسها)

الأم : صغيرتى المسكينة التى لم أحبها أبداً .. لقد أتتنى متأخرة .. بعد مجيئ هذا .. أنه آخر أولادى .. لم تكن جميلة على ما أذكر .. حتى ولا مقبولة .. لم يكن أحد يعجب بها .. ثقيلة ككيلوين من السكر محصولين على متن دراجة .. كانت دائماً وحدها نالت الشهادة الابتدائية دون أن يحس بها

أحد .. الأولى على قريناتها .. عند ذلك ابتدأت أتساءل أية ابنة أنجبت
(صمت) لو استدرت إلى الوراء .. سأحس بالدوار .. وبالفوض المذهلة
لقد استطعت أن أتجاوز كافة المحن ولكن مانفع ذلك الآن .. زواج غير
متوقع .. والسعادة المؤجلة التى حصلت عليها ابنتى أخيراً يبدو أننى
يجب أن أشكر السماء على ذلك .. ولكن من الذى سيعيد لى ابنتى
ميمى البشعة .. العذراء .. الشديدة النقاء ...
المتفانية فى خدمتى ..

(الابن يشير إلى مارسيل أن تتجه نحو أمه .. ولكن الأم تتابع تأملاتها وكأنها لم تحس باقتراب مارسيل منها)

الأم : يجب أن يراها المرء بعينه .. حتى يصدق الحال التى وصلت اليها ابنتى .. وتنظر إلى نفسها فى المرآة .. هل هى جميلة من يدرى .. المسكينة أين ذهبت بشاعتها القديمة .. وهذا الاهمال المدهش الذى كانت عليه حشرتى الصغيرة ..
انها أصبحت محبوبة .. الحب يملأ فمها وملء عينيها .. وأنا أيضاً يمكن ان أكون محبوبة .. أخيراً ياأمى انهم يحبوننى أنا التى كنت سبب تعاستك يا أمى .. أنى أنظر اليها كيف تغرق فى الخطأ .. وعلى أن أشكر السماء على ذلك ؟ أراها تدخل إلى المعسكر ويجب أن أصرخ فرحاً ..

مارسيل : (باندفاع ملئ بالاعجاب) أنا لا أفهم ما تقولين .. ولكن الطريقة التى تقولينها بها تكفى لأن يشعر المرء انك على صواب ..

الأم : (وقد رأتها) من أين أتيت أنت ؟

مارسيل : (كاذبة) بعد أن رقصت .. خرجت قليلا لأستريح .. هذه الولائم المدهشة .. انها ترفع معنويات الانسان ..

(الابن يراقص السيدة .. أمه تنظر اليه ولاتستمع إلى حديث مارسيل)

الأم : أنظرى اليه كيف يرقص .. ابنى ..

مارسيل : (باعجاب) طبعاً .. (فجأة) ألست تعبة قليلا ياسيدتى

الأم : (بعذاب) كان يمكن أن يفعل كل شيئ بهذه الطريقة

مارسيل : (بتعاطف) سيدتى .. كم أحبه.. ابنك

الأم : كان بامكانه أن يقلب الجبال .. كان بامكانه أن يقود مائتى عامل بكل سهولة كالملوك .. كان بامكانه أن يكون ملك العمل

مارسيل : أنا لا أعرف سبب حبى له.. ولا أحاول أن أجد تفسيرا ..

الأم : (مضطربة) وآسفاه يا ابنتى ..

مارسيل : أما هو فلا .. لن يجبنى أبدا (بلطف) كان يريد أن يطردنى كى لا ترينى .. وأنا تحصلت ذلك ..

الأم : ولم لا تتحملين .. هل كان أمامك خيار آخر أكثر فائدة ؟

مارسيل : معك حق

الأم : لم يكن يحب الذهاب للمدرسة .. كل الأمور بدأت من هذه النقطة لم يكن يريد الذهاب للمدرسة .. نقطة وانتهينا ..

مارسيل : على الاطلاق ..

الأم : اطلاقا

مارسيل : ولكن لو أراد الذهاب ما كنت ستكونين سعيدة كما أنت الآن .. أليس كذلك يا سيدتى ..

الأم : كانت ستكون حكاية أخرى .. دعينا لانأسف على شيئ

مارسيل : هذا صحيح .. لاشيئ يستحق الأسف (بعد لحظة) لو قبل أن يبقينى عنده .. فلن أطلب منه شيئاً آخر ..

الأم : هناك أولاد يسيرون فى طريق الحياة وحدهم .. وهناك الآخرين الذين لايستطيعون .. والاثنان .. حاولى أن تفسرى (بعد صمت) أنه لايرغب بالاحتفاظ بك ..

مارسيل : نعم .. وكل صباح يطردنى ..

الأم : (بلهجة مختلفة تكاد تكون مبتذلة) صبى لى كأسا من الشمبانيا يا بنية ... أسرعى ..

مارسيل : حاضر ياسيدتى ..

الأم : بدأت أفهم قصدك .. كلا .. كلا .. ثم ألف كلا .. لن أدعوك للمجئ معى .. (تضرب الطاولة بكفها) لم تعد لدى الشجاعة ..

مارسيل : (بدهشة) ولكن ياسيدتى ..

الأم : قبل ثلاث سنوات كان من الممكن أن أقول لك .. تعالى عندى مادمت بلامأوى .. فأنا أملك غرفا .. غرفا .. لاحصر لها .. كنت سأقول لك .. تعالى .. مادامت ميمى ستتزوج بدورها هذا المحافظ العدو القذر .. كنت سأقول لك تعالى مادمت كما فهمت لاتجدين حلا آخر .. مع هذا ماكنت سأقوله لك .. أما الآن .. فأقول لك .. لا .. ثم لا

مارسيل : سيدتى .. اهدئى .. اهدئى ..

(الأم تضرب بيديها على الطاولة .. وقد لعبت الخمر برأسها تماماً)

كان هذا ممكنا .. ولكن الآن انتهى الأمر ..

(تشرب ثانية)

مارسيل : (برقة) سيدتى أود أن أقول لك .. أن أقول لك شيئاً .. منذ الصباح وهو يجول بخاطرى ولم أجرؤ .. مع أنك سيدة عظيمة وكل شيئ .. وأنا شبه عاهرة .. أو شيئ من هذا القبيل .. ولكننا متشابهتان نحن الاثنتين ..

الأم : (تقاطعها)كأن العالم كله لم يكن فيه الا الطيور .. أيام برمتها بين الأشجار .. كل ما كان له قيمة هو الطيور .. هذه القذرة ..

(صمت) ورغم ذلك .. ورغم ذلك كله .. شرير أيضاً .. ما يمكن لأى انسان فى العالم أن يقبله .. حتى أكثر الناس كسلا .. لاتقبل به .. وتطرد هذه المسكينة كل صباح مع انها لاتضايق أحداً ..

وكأنها قطعة أثاث مهملة .. لماذا .. لماذا تفعل ذلك ؟

مارسيل : (تشارك الأم هذيانها) لأنه شرير .. نعم .. انه ليس كالآخرين

(انهما تشربان أثناء الحديث .. مارسيل تشير إلى البارمان كى يأتى

لهما بزجاجة أخرى)

الأم : ليس كالآخرين .. انظرى اليه قبل أن تحكمى .. ربما كان مختلفا عندما كان طفلا هذا ما أوافق عليه.. ولكن الآن .. انظرى اليه أنه يرقص كأى رجل كان .. ويتحرك مثله.. ياللبؤس ..

مارسيل : (ضاحكة) ربما كان ماتقولينه صحيح .. ان لا أحد فريد زمانه..

الأم : (هادئة) لا أحد (تمد كأسها إلى مارسيل التى تملأه) ..
تصورى .. كان يمكن أن أكون وحيدة .. أكثر بعشرة مرات فى هذا المصنع اللعين .. وحتى بعد أن ترحل ميمى إلى الخارج .. لن أطلب منك المجيئ عندى ..

مارسيل : (متوسلة) سيدتى .. لاتفكرى بذلك .. أرجوك .. لنتكلم بموضوع آخر ..

الأم : (بعناد) لن أطلب منك أبدا .. ألف .. موضوع الموت فى قلب الوحدة .. اعذرينى .. فقد كنت معلمة .. ولى طريقة خاصة بالكلام لن أعلمها لأحد .. ابنتى ميمى .. كم أرغب بارسالها بعيدا .. كم أرغب بأن أبقى وحدى دون أن أرى أى مخلوق كان .. أى مخلوق كان ..

مارسيل : (مشتكية) سيدتى .. انك تكررى الكلام نفسه طوال الوقت ألا يمكننا الدخول فى موضوع آخر .. اننى ..

الأم : (تضرب الطاولة بيدها) واذا كان يعجبنى أن اردد الكلام نفسة طوال الوقت .. أن أردد الأشياء التى أريد .. ما دخلك ؟
(الابن يعود من طرف الصالة مسرعا لأن أمه هذه المرة قد رفعت صوتها كثيرا ..)أمى .. كفاك شربا (إلى مارسيل) هل جننت لتتركيها تشرب هكذا .. (يقترب زبونان من الأم .. ضاحكين هازئين .. البارمان يبدو عليه الضيق)

الأم : (فى حالة هذيان كامل) لقد منحنى هذا المصنع متعة كبيرة هل فى ذلك ما يقال ؟ كلا .. ولكن ليكن فى معلومكم أن مجيئ هنا ليس الا حفاظاً على المظاهر .. طبعاً .. لأنى أردت أن أتذكر أن واجبى يقضى بأن

آتى لرؤية ابنى قبل أن أموت .. ولاشيئ أكثر من ذلك .. ولم يعد أمامى أى واجب آخر .. انها المرة الأخيرة عملتها واسترحت .. ولينهار العالم بعدها .. لن أرفع اصبعى الصغيرة لانقاذه .. هل تسمعونى .. ليأخذوه هذا المصنع الفاسد .. انى أهبهم اياه .. أهبهم كل شيئ ابنتى ومصنعى ولكن لن أهبهم أيامى الأخيرة .. كلا .. سأبقى وحدى .. أنا بحاجة لأن أبقى وحدى .. اريد أن أكون أكثر تعاسة .. وأكثر وحدة .. لماذا ؟ هذه المسألة تخصنى وهناك حتما سبب ولكنكم لن تعرفوه أبداً .. أنا بحاجة للتفكير .. لأن أفكر ...

حاجة ملحة أن أخرج من هذه التمثيلية الفارغة التى دامت اثنان وسبعون سنة .. والتى لاتعنى شيئاً .. على الأطلاق .. على الاطلاق .. وبما أن الموت لم يأت بعد .. لازال أمامنا متسع للتفكير .. لنلتقى .. ولنمحو الماضى من جذوره .. ولنزين أنفسنا بالورود كالصبايا الجميلات .. ثم لألقى بكم بالماء مهما كنتم .. جميعاً .. جميعاً .. آه .. كم سيكون المنظر ممتعاً ..

(لم يعد أحد يضحك) ..

الابن : (بحنان) أمىِ .. أمى

الأم : (لازالت فى قمة الغضب) كلا .. دعونى .. انى عملت من أجل ثلاثة أجيال .. وقطعت اثنا عشر ألف كليو مترا .. وليس لى الحق أن أحتسى قدحاً من الشمبانيا .. هل أصبحت أزعجكم الآن ؟

الابن : على العكس .. يمكنك أن تشربى كما تشائين .. هيا اشربى على راحتك ..

(يقبلها .. فتهدأ قليلا)

الأم : ياصغيرى (تنتحب) كنا نعثر عليك بين الأشجار تفتش عن أعشاش الطيور .. لم يكن فى رأسك الا هذا .. العصافير والطيور .. هذه الحيوانات القذرة ..

الابن : منذ ثلاثة وأربعين عاماً .. وأنت تحدثينني عن الطيور .. وخلال عشر دقائق سنعود إلى بيتنا .. فكفى عن التفكير بذلك ..

(يلبسها معطفها وتتابع هى كلامها وهى تلبس)

الأم : كانوا ينادونك جاكو .. وكنت لاترد .. كانوا يبحثون عنك .. ويعدونك بأجمل الوعود .. ولكن دون فائدة ..

الابن : لا فائدة من الندم على ماراح .. أنت التى تقولين ذلك

الأم : بعدها ابتدأت أضربك .. هل تذكر هذا ..

الابن : (محاولا أن يضحك) طبعاً .. حتى عندما بلغت الخامسة عشر كنت تضربيني وتضحكين ..

الأم : آه لو كان بامكانى أن أضربك أيضاً .. كأيام زمان .. تتصور .. انى أحلم بذلك ليلا .. وأن تعود لتأخذ طريق المدرسة ..

الابن : ماذا تفعلين ؟

(الأم تتناول طبق الحلوى الذى تركته مارسيل وتبدأ بالتهامه)

الأم : (تتكلم وكأنها تشتكى من فاجعة رهيبة) لقد تركت حلواها .. وستفسد .. يااللمصيبة .. أتعرف ما كان يجب أن أفعله معك .. أن أقتلك ..

الابن : معناها أنك لم تكونى تعرفين ماذا تريدين ..

الأم : طبعاً يا بنى .. لم يكن يزعجنى أن أرى الآخرين كل الآخرين فى المدارس .. وأنت .. هذا كان يخرجنى عن المألوف .. لذلك كنت أضربك قليلا .. ولكن فى أعماقى كنت أتمنى ..

الابن : (بلطف وهو يقف إلى جانبها) والآخرين .. قد نجحوا تماماً فى حياتهم .. واحد على أربعة .. ليس فى الأمر ما يدعو للشكوى ..

الأم : (بقرف) ياه .. لاتحدثنى عن ذلك ..

الابن : انهم يلقون بالمواعظ أكثر من اللازم .. هذا صحيح ولكن باستثناء ذلك هم مقبولون ..

الأم : طبائع سهلة .. نعم .. لم تتسن لهم فرص المقاومة (تفتش عن كلماتها) مقاومة .. ملذات الحياة .. الدراسة .. والمراكز والزواج .. كل هذا كان يمشى لوحده .. لايمكنك أن تتصور بؤس هذه الحياة .. القوية .. الثابتة التى لا تواجه أى خطر .. ان العذاب يضمرنى عندما أفكر بأولادى هؤلاء .. الذين انتهت حياتهم بعد أن نضجوا وأصبحوا كبارا .. كبارا حتى النخاع ..

انى أتصور أن جثثهم فيما بعد ستكون لينة .. لينة دون تجاعيد

(صمت) ماذا كنا نقول ؟ .. أه .. قلت لنفسى

.. هذا الذى يمضى أوقاته باللعب سأجعل منه تاجراً .. ولن يحتاج للدراسة .. كنت أحب التجارة .. وأنت ألم تكن تحبها ؟

الابن : (كاذبا وقد عرف إلى أين تريد والدته أن تقوده .. يقول بعصبية) حسنا .. لا أعترض .. مطعم صغير وأليف على الطريقة الشعبية .. أترين ما أقصد .. سعر محدود ...

وثلاثة أطباق .. الطعام محدد وجيد الطهى ..

الأم : (بفصاحة) كنت أعرف ذلك .. أعرف ذلك .. ياللخسارة ..

يالأسف .. ماكنت تقول شيئاً .. لاعن التجارة ولا عن أى شيئ آخر .. كان يجب أن أقرر ..

الابن : (بلطف شديد) يجب أن نعود للمنزل يا أمى (تأخذ كأسها وتشرب أيضاً) .

الأم : ولماذا ثلاثة أطباق .. طبقان كفاية .. ولكن من النوع الجيد وكنت ستصبح ثريا فى عشرة أعوام (تميل قليلا) .. والآن ..

(تسأله) والآن ياصغيرى .. ما رأيك ؟

الابن : (ضاحكاً) هيا بنا ..

الأم : (   ) لا أريد أن أمشى .. أنا سعيدة هنا ..

الابن : (مترددا) فى هذه الحالة الزمى الهدؤ وكونى عاقلة ..

(الأم لا ترد .. تصل مارسيل .. يهمس الابن بأذنها بعدة كلمات وهو يتجه إلى البار .. الهدؤ يعود للمكان) .

الأم : (تكلم نفسها .. ثملة ولكن هادئة) ما اللزوم إلى لائحة الطعام .. لماذا ؟ .. ان أذواق الناس ليست على هذه الدرجة من التنوع ياللأخطاء .. كلها مظاهر فارغة .. يختلفون كثيراً ولكنهم متفقون على الأساسيات .. لننظر اليهم كيف يعيشون كقطعان الغنم ..
(تصمت) قطعة جيدة من القرنبيط .. لا أظن أن هذه يختلف حولها .. وإذا كان هناك من لاتعجبه.. فما عليه إلا أن يختار مطعما آخر ..
(تقترب مارسيل منها)

الأم : هذا أنت .. تأتين وتذهبين .. ياللملل .

مارسيل : أعذريني .. ولكن آن أوان العودة (تكلمها كما تكلم طفلة صغيرة) . واذا كنت لازلت جائعة يمكنك أن تأكلى بالبيت .

الأم : كيف سنعود .. أننا بالكاد وصلنا يا ابنتى .. بالكاد وصلنا .

مارسيل : لا أعرف .. أنه جاك الذى قرر أن نعود .

الأم : أنا مبسوطة هنا .. مبسوطة لاخر حد (تضرب بيدها على الطاولة .. بعض الزبائن يضحكون ولكن بأدب) .

مارسيل : (بلطف) أظن ياسيدتى .. اذا لم يكن فى ذلك تطفل .. انك تعبة جداً .

الأم : (بأسف) لابد أن تصرفى لم يعجب ولدى .. أنا أعرفه.. لابد انى قلت كلاماً أزعجه.. ولكن لابأس .. الأفضل أن نذهب وننام ..

مارسيل : هذا صحيح .. نوم مريح .. وتتحسن الأمور .

الأم : كلا .. (صمت) .. ناد للبارمان كى أدفع له ثمن الشمبانيا
(مارسيل تنادى البارمان باشارة من يدها) .

الأم : (تهمهم) المرة الوحيدة التى أحسست فيها بالراحة فى مكان ما ياترى .. ماذا فعلت ؟
(يصل البارمان باسماً)

البارمان : أتأمل أننا سنراك ثانية قبل رحيلك ياسيدتى ..

الأم : (تنظر اليه وتهز رأسها نفيا) لا .. لا أظن ذلك

البارمان : لماذا ؟

الأم : (بعناد) هكذا

(الصمت يحل .. يقطعه البارمان بأن يقول بأدب)

البارمان : خمسة آلاف فرنك فقط ياسيدتى

الأم : (صارخة بدهشة) ماذا تقول ؟

مارسيل : (مذعورة .. وبصوت منخفض) هذا هو السعر الرسمى .. فى كل مكان أنا أعرف ذلك ..

الأم : ربما كان هذا صحيحاً .. ولكن أنا لن أدفع خمسة آلاف فرنك ثمن زجاجتين من الشمبانيا أبداً ..

الابن : (عائدا) ماذا جرى (البارمان يبتسم ساخراً .. ولكنه لازال محافظاً على هدوئه) ..

البارمان : ان والدتك ترى أن الحساب مرتفع .. وأنا دون شك أقدر مفاجئتك ياسيدتى .. فلاشك أنه قد مر عليك زمن طويل لم تدخلى فيه ..

الابن : (مقاطعاً) اتركنى أتصرف .. خمس دقائق فقط (إلى أمه) أنه السعر الرسمى .. يمكنك أن تسألى فى كل مكان .. ومارسيل يمكنها أن تؤكد لك ذلك مثلى ..

(البارمان عاد إلى مكانه منتظراً دفع الحساب) .

الأم : جائز .. لا أعترض .. على كل حال .. لايهم ..

الابن : (بلهجة مختلفة) كما تشائين ..

الأم : (مشتكية ولكن بخجل) خمسة آلاف فرنك .. كلا .. لن أدفع .. هذا لم يحصل لى قط ..

الأم : ولست وأنا فى هذه السن (فجأة إلى ابنها) ماذا تقصد بكما تشائين .

الابن : (ببرود) أقول .. اذا لم ترغبى بالدفع لاتدفعى .. هذا كل ما فى الأمر ..

الأم : وبعدئذ ..

الابن : لا أعرف .. ولايهمنى (ارتفعت أصواتهما .. يأتى البارمان مسرعا) .

البارمان : (مغتاظاً هذه المرة) سيدتى .: ما دام الكل يؤكد لك .

الأم : (بسذاجة) يؤلمنى جداً أن أدفع ثمناً مرتفعاً هكذا .. ألم لايصدق

الأبن : (يخرج النقود التى أعطته اياها فى الصباح) أنظرى .. ها انذا أخرج ورقة بخمسة آلاف فرنك وأضعها هنا .. ولا أفكر فيها بعد الآن وأشتمها أيضاً .. هل فهمت ؟

الأم : (تجن من تصرف ابنها) كلا .. كلا .. ليس من أموالك ..
(تخرج ورقة خمسة آلاف فرنك من حقيبتها .. الابن يسترد ورقته)
خذ ياسيد دبزيه .. وأرجو المعذرة (بعض الناس على البار ينظرون اليهم) اعذرونى .. فأنا لست معتادة ..

البارمان : (وقد استعاد أدبه) أرجوكى ياسيدتى .. هذا أمر مفهوم لمن هم فى مثل سنك .. خصوصاً .. بعد كل هذه السنوات التى أمضيتها بعيدا عن العاصمة ..
(الابن ينهض وكذلك مارسيل)

الابن : تعالى

الأم : (باطاعة) حاضر ..
(يبتعدون هم الثلاثة .. الأم تتوقف ثم تقول بصوت هامس)

الأم : كم هو خبيث وماكر السيد ديزيه .. لم أكن أظن

الابن : ما كان يجب أن تستسلمى بسهولة

الأم : (محتارة) وماذا أفعل لو تدخل البوليس .. هل ترانى فى عربة بوليس وأنا فى سنى هذه ..

الابن : تعالى (يصرخ) تعالى .. لم أعد أحتمل .. تعالى

الأم : حاضر .. حاضر .. أنا قادمة (لوحدها) يخيل إلى .. أننا قد وصلنا توا ..

الابن : لاتحاولى الفهم .. تعالى ..

الأم : حاضر .. حاضر يابنى .. أدركت جيدا أنى لست جديرة بالخروج إلى المحلات العامة

الأم : فى أى مكان أذهب اليه.. أسبب المشاكل .. ياللملل ..

الابن : (بعد تردد) ارجعى مع مارسيل .. أما أنا فسأبقى هنا نصف ساعة أخرى ..

الأم : أنت لم تعد تطيق احتمالى .. أليس كذلك ..

الابن : (بجهد) نعم يا أمى .. نعم .. أنت على حق ..

الأم : أنى أفهمك يابنى .. لو كنت استطيع الخروج عن نفسى .. أى راحة كنت سأرتاح .. ولكن لافائدة .. على أن أتحمل تصرفاتى .. القطار والقاطرة .. هى أنا ثم أنا

(يستدير الابن ويبتعد عنهما باتجاه البار .. الأم ومارسيل تتابعانه بالنظر .. ثم تحاول مارسيل جذب الأم التى تقاوم)

الأم : إلى اين يذهب .. ؟

مارسيل : (مترددة وقد أصبحت فجأة شديدة البرود) أترين هذا الباب .. هناك .. (تشير بيدها إلى باب آخر البار) أنه يؤدى إلى صالة قمار .. هذه الصالة بالنسبة لابنك ياسيدتى هى الجنة الخضراء ...
بستانه الخاص .. بستانه الحقيقى .. انه يعود شاباً وسيما ووديعا فلماذا تشتكين ؟

الأم : (بكبرياء) وكيف سمحت لنفسك ياصغيرتى أن تقولى أنى أشتكى ..

مارسيل : معذرة ياسيدتى ..

ستار

* * *

الفصل الثالث

(بيت الابن الذى رأيناه فى الفصل الأول .. الليلة نفسها .. ولكن الوقت متأخر .. والساعة قاربت على الثانية صباحاً .. مارسيل متمددة على مقعد واسع .. تبكى بصمت ..)

(على المائدة لازالت هناك بقايا العشاء ...)

(يدخل الابن .. مارسيل تشير اليه أن يصمت وأن لا يسبب أى ضجة تنهض من مقعدها وتذهب إلى الباب المغلق الذى يؤدى للغرفة الثانية لتتأكد من نوم الأم)

مارسيل : انها نائمة

(يدور الابن فى أرجاء الغرفة .. صامتا فترة طويلة)

الابن : هل انتظرت عودتى ؟

مارسيل : بالكاد .. لقد تناولت طعامها .. وتحدثت عن مطعم تنوى اعطاءه لك تكلمت .. وتكلمت .. وتكلمت .. وفجأة .. داهمها النوم ..

الابن : اريدها أن تموت

مارسيل : أصمت

الابن : (متجمدا) لتمت الآن .. هناك فى فراشها (صمت) ماذا قالت أيضاً

مارسيل : (بنعومة ولكن لاترغب اخباره) تعال إلى جانبى ..

الابن : هل ستخبرينى ؟

مارسيل : (مصرة على أن لاتخبره بالحقيقة) تعال إلى جانبى ياجاكو

الابن : (متجمدا فى مكانه) حسنا .. (بعد صمت) لقد فهمت

(صمت) متى ؟

مارسيل : (بصوت خفيض) غدا

الابن : (بعد صمت طويل) وفى أية ساعة ستقوم الطائرة ؟

مارسيل : الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق (تضيف) غدا (صمت) قالت أنه ليس هناك حل آخر (صمت) وأنا معها (صمت) لقد دارت فى ارجاء الغرفة كوحش حبيس ، ثم اتخذت قرارها .. بعد ذلك تحدثت فى موضوع آخر .. وأكلت .. أكلت بطريقة مخيفة .. ونامت وهى تأكل .. فأخذتها إلى فراشها..

الابن : ماكنت أعرف أن الشهية تبقى حتى آخر لحظة ..

مارسيل : انها ستموت من التخمة .. أنا متأكدة ..

الابن : لايمكن أن أفعل شيئاً لوالدتى الا أن أتركها تأكل ما تشاء قبل أن تموت .. لحسن الحظ .. انها تأكل (وقد وصل إلى منتهى صبره)
لتمت .. أو ترحل إلى الجحيم .. إلى الجحيم .. وتبعد عنا .

مارسيل : سترحل غدا ياجاكو .. تعال واسترح

الابن : أنت متأكدة .. متأكدة .. انها سترحل غدا ؟

مارسيل : أنا التى أتصلت بشركة الطيران وحجزت لها التذكرة

الابن : (بشرو) وأنت أيضاً .. سترحلين غدا .. أفهمت ؟

مارسيل : نعم .. تعال الآن .. ولاتفكر بالأمر ..

الابن : (يستلقى على مقعد) لقد خسرت .. لم أعرف كيف ألعب .. ولم استطع استرداد نقودى (يتنهد) غدا (ينهض ويسير .. يسترعى نظره شيئ قد وضع على المدفأة) ما هذا ؟

مارسيل : (برعب) لقد خرجت من غرفتها .. ووضعت كل شيئ هنا .. تعال ياجاك .. أتوسل اليه..

(جاك يأخذ المال والأساور الذهبية ويضعها على المائدة)

الابن : لن يمكننى النوم هذه الليلة أيتها الحمقاء .. من الذى يمكنه ذلك

مارسيل : (مرعوبة) ولكن ماذا سأقول لها اذا استيقظت ولم تجد أمامها شيئاً ..

الابن : لن تسألك .. لقد تركت لى هذا كله كى آخذه .. الأساور والذهب لقد جلبتهم لى (تمر برأسه فكرة فيتقدم من مارسيل) أعيدى لى ما أخذته ..

مارسيل : (تخرج حزمة نقود من جيبها وهى تبكى) ستعود إلى هناك .. إلى صالة القمار .. وستخسر كل شيئ .. وغدا .. تبدأ المعزوفة من جديد .. لاطعام فى البيت .. جاك .. أتوسل اليك للمرة الأخيرة .. تعال إلى جانبى ..

(الابن قد وضع كل شيئ فى جيبه .. ويعود للسير فى أرجاء الغرفة) ..

الابن : (منتحبا) أنا شقى

مارسيل : (بحنان) أعرف ذلك .. وأحبك .. جاك أتوسل اليك .. ابق ابق هذه الليلة الأخيرة .. لن تراها بعد ذلك ثانية .. انها المرة الأخيرة ..

الابن : كلا (بعد صمت) قلت لها عكس الحقيقة .. ولكن الحق أنها كانت أم سيئة وهى تعرف ذلك .. كلانا نحن الاثنين نعرف ذلك ..
انها حشرة .. أم حشرة .. أنا كنت عملها السيئ .. انها الشاهد الوحيد على الحياة الجبانة التى عشتها .. وستموت (صمت)
وانتهينا .. هذه المرة .. انتهينا حقا (صمت) أنى أتنفس

مارسيل : (بوضوح) لاتفعلها يا جاك .. لاتذهب

الابن : (غاضباً) رقة المعاملة .. هل سمعت عنها .. رقة المعاملة التى ستجعلها تشمئز من ابنها إلى أبد الآبدين .. هل فهمت ؟

مارسيل : (مبتسمة بسخرية واحتقار) طفل أنت .. كذوب وممثل .. ما أفظعك

الابن : سأكسب يامجنونة ..

مارسيل : مستحيل .. هذا مستحيل

الابن : (لطيفاً فجأة) سيكون لديك احتياطى يكفيك لمدة عام .. فلا تقلقى

(مارسيل لاتبكى .. ولكن تنظر اليه .. فيقترب منها)

مارسيل : ياللرب .. ما أضعفك .. هذا صحيح .. هى نفسها لايمكنها أن تتخيل درجة ضعفك ..

الابن : هدوءاً ياصغيرتى .. والا اضطررت لطردك الآن دون أن أنتظر الصباح أتفهمين ..

مارسيل : (ببرود) عفوا

الابن : (مفسرا) نعم .. لقد خسرت .. ثم ترسل السماء إلى جيبى مائة ألف فرنك وتريدين منى بعد ذلك أن أذهب إلى سريرى وأشخر ؟

مارسيل : (وقد تغيرت تتكلم ببرود) لاأريد شيئاً لنفسى ... انى أتكلم من أجل أم الرجل الذى أنت هو

الابن : (محاولا اقناعها رغم كل شيئ) أن أمى تعرف مقدار تعاستى .. وأتت من أجل ذلك .. كى تفهم ما الذى يجعلنى أصنع تعاستى ان الأمر شديد التعقيد بالنسبة لك .. هل تفهميه؟

مارسيل : أفهمه..

(الصمت يحل بينهما .. مارسيل تشرد بعيدا)

مارسيل : أتظن أنها تتوهم أشياء حول المصنع أم أنها تعرف الحقيقة ؟

الابن : وماذا يهمك من الأمر

مارسيل : (ببرود وبشئ من الصفاقة) ولم لا .. أريد أن أعرف

الابن : لقد أسموا المصنع منذ عام .. وميمى عضوة فى النقابة .. لم يكن هناك مفر أما القبول أو الاخراج من البلاد .. ميمى تقص على الأكاذيب .. ولكن هى تعرف كل شيئ (ينهض وهو يتكلم .. ويتجه للخروج .. لا تحاول مارسيل استبقاءه) أنها تعرف كل شيئ .. عن كل شيئ .. لقد تركت كل هذا المال هنا لأنها تعرف أنى سأخذه .. كى ترضينى هل تسمعين ؟ وكى تكون متأكدة أنه هناك أمامنا أى أمل .. أقسم لك .. (صمت) أتسمعيننى .. أقسم لك

مارسيل : (تتفحص بالنظر دون أن يبدو عليها أى رد فعل) غدا سأرحل وسأتركك وحيدا ولن تحتاج لأن تكرر أمامى كلامك ..

الابن : (بائسا) كما تشائين (بعد صمت) ماذا أصابك ؟

مارسيل : (هادئة رقيقة تلمس رأسها .. ثم قلبها وكأنها أسيرة الدهشة) حب التغيير .. لا زالت تحت تأثيره .. هكذا فجأة ..

الابن : (هازئاً) قرفت الصبية

مارسيل : (فى نفس حالها) نعم ..

الابن : (محاولا أيضا) كل أولاد الدنيا سيفعلون مثل ما فعلت الليلة لو ريتهم كما ريتنى ..

مارسيل : (على نفس الحالة) .. نعم .. معك حق ..

الابن : (بعد لحظة .. يقترب منها بحنان)قولى شيئا

مارسيل : (ببطء وكأنها تنطق حكما) أنت الابن الذى تمنت أن تكونه (تسمع ضجة من طرف الغرفة .. ثم سعال بسيط .. وحركة الابن يخرج مسرعا على أطراف أصابعه .. مارسيل تجلس وتبكى بصمت على مقعدها .. بعد لحظة تظهر الأم محلولة الرأس فى ثوب نوم مهمل)

الأم : أكنت تكلمينى

مارسيل : (متمالكة نفسها) كلا يا سيدتى

الأم : ظننت ذلك .. آه .. هذه الليالى .. ها أنا قد استيقظت من جديد دون أن أدرى أين أنا

الأم : وابنى .. أين هو حتى الآن ؟

مارسيل : (يحذر) لقد رجع .. ثم خرج مرة أخرى .. ولكنه سيعود .. لاتقلقى

الأم : (بخفة) الليل يطول كثيرا فى سنى .. يا للملل .. كم الساعة ؟

مارسيل : الثانية وعشرين دقيقة

(تذهب الأم الى المدفأة وتضع يدها عليها)

الأم : ياللعجب

مارسيل : (تنهض) لوسمحت لنفسى يا سيدتى .. يجب أن تعودى الى فراشك وأن تحاولى النوم قليلا ..

الأم : (بعصبية مفاجئة) نعم .. نعم .. سأحاول ولكن تصورى .. فى أى ساعة أذهب فيها للنوم .. هناك لحظة من الليل أستيقظ فيها .. ويهجرنى النعاس نهائيا .. يهجرنى لدرجة أننى يمكن أن استغنى عنه تماما ..

مارسيل : (برقة) تماما .. مثل ابنك يا سيدتى ..

الأم : (بصوت خفيض) ابنى

مارسيل : ما باله ابنك ؟

الأم : (ببرود) هل كسب بالقمار ابنى ..

مارسيل : (متماسكة) كلا يا سيدتى ..

الأم : ولكن يحدث له أن يربح أحيانا .. مثل كل الناس .. ابنى .. نعم أم لا ..

مارسيل : طبعا يا سيدتى .. طبعا .. وعند ذلك لا تجد فى العالم من يماثله سعادة ..(تبتسمان معا)

الأم : (مستفسرة) وهل يكسب أحيانا كثيرة فى رأيك .. ابنى ..

مارسيل : (مترددة) ليس كثيرا .. على ما أظن .. انه يمر دائما بضائقة جاكو المسكين ..

الأم : ياللظلم .. حتى الآن .. ولكن الى من تشتكى .. ما من أحد أليس هذا صحيحا ..

مارسيل : هذا صحيح

(الأم تتردد ثم تسأل)

الأم : لقد عاد مرة أخرى ليلعب أليس كذلك يا آنسة .. أخبرينى ..

مارسيل : نعم يا سيدتى ..

الأم : (تجلس بعصبية) انها ليست مسألة نقود .. ولكن لا تتصورين صعوبة اخراج شيئ من المال .

الأم : من خزنة ميمى كل صباح

(صمت .. مارسيل تعاود البكاء)

مارسيل : كم أنت تعيسة يا سيدتى ..

الأم : أنا .. أبدا .. أبدا ..

مارسيل : سيعود يا سيدتى .. فلا تقلقى .. سنصحبك الى المطار الساعة العاشرة والنصف .. لأن الطريق بعد هذا الموعد سيكون مزدحما .. (تبكى وهى تتابع كلامها لتقول أى شئ) سنضطر لاستدعاء تاكسى بالتليفون .. سيعود يا سيدتى .. فلا تقلقى .. اتوسل اليك .. اننا نظن أنه لن يعود أبدا .. ولكنه يعود دائما ..

الأم : اطمئنى فأنا أعرف ذلك يا آنسة .. لا شيئ يدهشنى منه .. والخلاصة أن هذا هو ما يعنى رؤيتى له من جديد . ولكن ما يثير عجبى هو لا أدرى ماذا أقول ــ سلوكه المنظم .. لقد تسبب فى افلاسى مرة .. هل روى لك ذلك .. وسيكرر فعلته بنفس الطريقة .. مع اعتقاده بأن هذا التصرف سيفيد بشيئ ما (صمت) كفى عن البكاء بحق المساء فالبكاء لا يفيد كما أنه لا يهدئ النفس كما يقولون ..

مارسيل : (لازالت تبكى) عفوا يا سيدتى ..

الأم : (تكلم نفسها) انه صارم فى أوهامه .. وفى اخطائه .. كما يكون الآخرين صارمين تجاه قضايا أخرى .. من فى العالم يهدر وقته بهذه الدقة .. بهذا الكمال .. لا أحد .. وأية ثروة كانت مهما اتسعت ومهما كبرت لن تقف فى وجه .. انه يتناولها بيده وبحركة واحدة يلقيها كلها فى البحر .

مارسيل : (التى سمعتها ولا زالت تبكى) سيكسب يا سيدتى .. اقسم لك ... وسترين صدق كلامى ..

الأم : (تهز رأسها نفيا) كلا .. لن يكسب .. وسيعود غدا الى نفس النقطة التى انطلق منها اليوم .. سيحضر .. (تزداد عصبية لاستمرار بكاء مارسيل) ولكن عليك أن تنسيه .. يمكنك أن تجدى لنفسك أما .. حاولى .. ماذا

يفيدك أن تعيشى كل عمرك فى هذه الحسرة .. هذا أسر غير طبيعى ..

مارسيل : سيدتى .. أنا أبكى لأنك كنت تعرفين جيدا أنه سيفعل ما فعله .. لقد تصرفت هكذا عمداً .. وأنت تعرفين كل شيئ ..

الأم : (متأوهة وقاسية فى الوقت نفسه) لحسن الحظ أنى راحلة .. ولعلمك .. أنت أكبر سنا .. من أن تتصرفى كما تفعلين الآن .. (صمت) أنت مخطئة قليلا فى حكمك .. فأنا لأعرف كل شيئ بحذافيره (واضحة تماما فى كلامها) لم أكن متأكدة مائة بالمائة ..

مارسيل : (متوسلة) أنا آسفة على ما قلته لك .. ولكن أن تعطيه النقود بوسيلة أو بأخرى كانت ستؤدى الى نفس النتيجة .. فلماذا لجأت الى هذه الطريقة ؟

الأم : (ببأس متباعدة) لا أعرف بالضبط .. ربما لكى أتجنب كلمات الشكر السخيفة التى كان سيقولها لى .. ربما لكى يكون ذلك أشبه ما يكون بمعجزة صغيرة .. نوع من السهو والنسيان فى هذه الصحراء (صمت طويل .. تنظر الأم الى مارسيل)

مارسيل : (تنفجر باكية) سيدتى .. أنت غدارة ..

الأم : نعم .. وربما فى يوم من الأيام ستدركين بدورك ما يصنع شقاء السعادة الأفاق (تنهض .. تتجه الى النافذة .. تنظر فيها .. ثم تعود وتجلس فى مقعدها صامته)

اذا كنت سأرحل فلأن وجودى هنا لم يعد منه فائدة .. ولا يعنى شيئا ولا يسبب لأى أحد أى سرور أو بهجة .. بل على العكس يسبب ربكة .. ربكة مخيفة ..

مارسيل : عندما كانوا صغارا ..

الأم : (مقاطعة) باشارة من يدها) كفى .. (صمت)

انهم يخرجون من رأسى .. انى لا أكاد أميزه .. وهو مختف بين الأشجار فى فصل الربيع .. كيف كان يأكل .. كم كان شرسا .. انى أبذل جهدا ولكنى لم أعد أرى شيئا .. لم أعد أسمع نبرة صوته .. لذلك أعطنى ما

أشربه يا بنيتى .. فأنا أحس بالظمأ أثناء الليل .. نعم أنا ظمآنة ..
(صمت) مادمنا لم نعد نستطيع تذكرهم .. لماذا أنجبناهم ؟
(مارسيل تذهب الى المطبخ)

الأم : (وحدها) لوبقيت هنا .. فلن يجد أمامه حلا الا قتلى .. وأنا لن أجد أمامى حلا الا قبول ذلك ..
(تعود مارسيل حاملة كأسا من الماء)

الأم : (تشرب وتضع الكأس أمامها) أظن .. انه من الأفضل أن أعود لسريرى

مارسيل : نعم .. حاولى أن تنامى .. وسيكون هنا بعد ساعة ..

الأم : هل عرف ابنى انى سأسافر ..

مارسيل : نعم ..

الأم : وقدر ذلك على ما أظن ..

مارسيل : (بشدة) نعم .. فهم ذلك يا سيدتى ..

الأم : (وكأنها منومة) ولم الانتظار .. ان نهار الغد كان يمكن أن يصبح كابوسا فكرى بذلك يا آنسة .. فكرى بما كان يمكن أن يكونه نهار الغد ..

مارسيل : نعم .. انت على حق .. كان سيصبح فظيعا ..

الأم : المرة السابقة .. وقبل خمس سنوات .. حاول أن يستبقينى عدة أيام أخرى **(تنهض بصعوبة .. ناظرة بتفحص الى الغرفة التى يقيم فيها ابنها .. ثم تتجه بعدها الى مارسيل)**
يا ابنتى .. حاولى أن تغيرى مهنتك ..

مارسيل : فات الوقت .. لا أجيد أية مهنة أخرى .. وانا فى هده السن .. ليست هناك سابقة لذلك .. على الأقل أنا لا أعرف..

الأم : هل أنت متأكدة ..

مارسيل : نعم متأكدة .. اننى مثله .. لا أجد رغبة بالعمل ..

الأم : هدا مؤسف حقا ولكن لا يمكننى أن أفعل شيئا لك .. أو لأى أحد غيرك على كل حال أظن أنكما على حق أنتما فى أن تعيشا هكذا .. انى أؤمن

بذلك من أعماق روحى .. لذلك تابعا على هذا المنوال .. ان المرء يحتاج الى قوة حاصة لكى يقبل أن يكون بلا وزن حقيقى .. وأن يحيا حياة خفيفة .. بلا متاعب ..وبلا مسئوليات كالقطط (صمت)أما بالنسبة اليه فأظن أنه من الأفضل أن تتركيه وأن تغادرى هذا المكان .

مارسيل : وقد كفت عن البكاء) هذا ما سيحدث .. فأنا راحلة غدا ..

الأم : (بدهشة) غدا .. مثلى .. وماذا سيحل به..

مارسيل : سيجد حلا (ببطء) هكذا تفضلين أن تريه.. وحيدا تعيسا ..

الأم : افهمينى يا ابنتى .. اذا كنت قد قلت لك أن تتركيه .. فهذا لا يعنى أنى لست فخورة يا بنى .. على العكس تماما .. أنا فخورة به .. فخورة به جدا ..

مارسيل : سيدتى .. أتوسل اليك أن تصمتى

الأم : فى آخر اندفاعة حب) لو تعرفين .. ان الآخرين الى جانبه.. كل الآخرين الى جانبه ابقار .. ومستشارين .. ورجال فى ثياب انيقة ورسمية .. وفرسان .. وسيارات .. غالية الثمن .. وبيوت فى الضواحى وحمقى بلهاء .. وعمال فقراء .. وبكلمة واحدة .. نساء .. وشقق فاخرة وأجازات طويلة ..وأبناء .. وأفواج من الحمقى .. ومتطلبات ولوازم أوامر تعطى الى الخدم .. طعام يقدم فى السرير .. ولائم فخمة ورحلات الى ايطاليا .. كل هذا قبيح .. بشع .. وسمبن .. وملئ بالشحم .. انظرى اليه هو .. الى جانبهم .. هذا الشاب الجميل هذا الطفل الرائع .. هدا الأمير .. نعم .. ولدى .

مارسيل : سيدتى .. انى أطلب منك أن تصمتى ..

الأم : سأصمت .. سأصمت يا صغيرتى .. لا تخافى .. ولا تأسفى لأجلى .. فأنا لست حزينة .. أنظرى الى (تبتسم لها ابتسامة عريضة .. مارسيل تخفى وجهها بين يديها)انى لا أتألم الا من شيئ واحد .. جزئية صغيرة .. ليست مهمة جدا .. فلا تقلقى .. وهى أن هذا الزهو الذى اكتسبته منه .. أنا الوحيدة فى العالم التى أحس به .. ولا يمكننى أن أشارك

به أحدا .. حتى ولا أنت .. وبما أننى سأموت .. لن يوجد بعدى على ظهر هذه الأرض كمن سيشعر به تجاهه.

انه الخاطر الوحيد على ظهر هذه الدنيا الذى يؤلمني قليلا التفكير فيه.. ولا شيئ سواه ..

ستار

* * *

رقم الايداع ٥٩٧٣ / ١٩٩٢
دولى ٩٧٧ ــ ٢٣٥ ــ ٠٥٩ ــ ٩
مطبعة هيئة الآثار المصرية